الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٦٩ / ٥٦٧٦٩

العدد ١٠٦ — الثلاثاء ٩ من ذي الحجة سنة ١٣٥٩ — ٧ يناير سنة ١٩٤١ — السنة الثالثة

فهرس العـــــدد

"الثقافة" في عامها الثالث

باسم الله تفتتح "الثقافة" العام الثالث من حياتها ، وهي أشد ما كانت انتباطاً ، وأوسع ما كانت رجاءً ؛ فقد اتصلت بنفوس قرائها الكثيرين ، وأصبحت جزءاً من حياتهم العقلية ، يترقبون موعدها ، ويتصفحون صدورها ، وينشدونها إذا غابت ، ويتشوقون قراءتها إذا حضرت ، ويعدونها غذاءً من غذائهم الروحي ، ومتاعهم الأدبي ، وقد وثقوا صلاتهم بها ، يقدمون إليها خير نتاجهم ، ويستفسرون منها عما غمُض عليهم ، ويحبذون نواحي قوتها ، وينقدونها فيما يأخذون عليها ، ويحنون عليها في حالها .

وهي من جانبها لم تدخر وسعاً في أداء واجبها ، فأخلصت للعلم والأدب ، وحرصت على أن تخدم الحق ؛ فلم تمرض للعلم الرخيص ، ولم تنزل للأدب الوضيع ، ولم تحد عن الحق .

لقد صادفتنا مصاعب كثيرة ، منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي ؛ فقد غلا الورق وصار ثمنه أضعاف ما كان ، حتى صار ثمن المجلة ورقاً أبيض يكاد يكون أكثر مما تباع به — فكيف مع التحرير والطبع ؟ وعزّ في السوق حتى صعب الحصول عليه ، وفرغ الناس لأخبار الحرب والسياسة أكثر مما فرغوا للعلم والأدب ، ولم تكثر قراء المجلات الجدية في الشرق بنسبة انتشار التعليم فيه ، وانكماش الأمية منه ؛ وقلّ الانتاج الأوربي ، وقلّ وصوله إلينا ، إلى غير ذلك من عوائق ؛ ومع هذا ظلت المجلة سائرة في سبيلها ، علماً منها بأنها تؤدي واجباً ولا تطلب مغنماً ، وتغزو الجهل ولا تغزو المال ، وتفتح أبواباً للعلم والأدب ولا تفتح متجراً ؛ و "لجنة التأليف" من ورائها تشجعها على المضي في سبيلها مهما لاقت ، ولا تعبأ بالمال مهما تحملت ؛ وكل أمانيها أن تحقق غرضاً رمت إليه [illegible] ه وصممت عليه .

لست أنسى يوم خروج "المجلة" لأول عهدها ، واللجنة والمجلة تحسب لها ألف حساب ، وتخشى الفشل أشد خشية ، وترى أن هذا أول عمل لها من نوعه ، وأنه يخالف ما درجت عليه ، فهو يعرضها للاتصال بالجمهور وجهاً لوجه ، ويربطها به ارتباطاً دقيقاً بالساعة والدقيقة ، ويلزمها بتقديم الغذاء الصالح له دائماً أبداً ، لا يعفيها من ذلك صيف ولا شتاء ، ولا إجازة ولا عيد ؛ وإنها لا تفرغ من عدد ظهر إلا لتفرغ لعدد يظهر .

ومما كان يزيد خوفها أن الله وفقها في كل ما حاولت ، من اختيار أعضاء ، ونشر كتب ، وإنشاء مطبعة ، وما إلى ذلك من أعمال ، فهي لم تجرب الفشل أبداً ؛ ومن أجل ذلك خافت من تصور الفشل في عمل .

واليوم ، وقد مضى عليها سنتان ، تستقبل العام الجديد بقلب مطمئنة ، حامدة الله على النجاح المتتابع ، والفشل الهارب ، شاكرة لجمهور القراء حسن تقبلهم ، ولطف معونتهم ، وجميل تشجيعهم .

وليست السنتان الأوليان في عمر مجلة بالشيء اليسير والزمن القصير ، فقد وضحت الأعلام ، ووضح النهج ، وتفتحت العيون للتجارب ، تستفيد من النجاح ومن الفشل ، وانعرف وجوه القوة فتستزيدها ، ووجوه الضعف فتقويها ؛ ولا سيما أنهما سنتان بعشر ، استوت مع باقي السنين في الطول ، ولكنها اختلفت عنها في العرض ، فإذا صلب عودها على العسر فأولى أن تزهو في اليسر ، وإذا سلمت في البؤس فهي أصلح للبقاء في النعماء .

لقد استرشدنا بنصيحة ابن المقفع الغالية ، إذ يقول : "على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين ، وفي الرأي ، وفي الأخلاق ، وفي الآداب ؛ فيجمع ذلك كله في صدر أو في كتاب ، ثم يكثر عرضه على نفسه ، ويكلفها إصلاحه ، ويوظف عليها توظيفاً ، من إصلاح الخلة أو الخلتين أو الخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر ؛ فكلما أصلح شيئاً محاه ، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب" .

فنحن أعرف بما عملنا ، وبما يجب أن يعمل ، وما كان عليه ماضينا ، وما يجب أن يكون عليه مستقبلنا ، والخطوات التي قطعناها ، ومدى الأغراض التي ننشدها . ولكنا لا نسرف في وعود ، ولا نتبجح في آمال ، ونؤثر أن نعمل من أن نتكلم ، ونفاجئ بالإصلاح من غير سبق نُذُر . ونكرر شعارنا الذي اتخذناه من يوم إنشائها ، وهو : "إلى الأمام والله يؤيدها" .

أحمد أمين

أمريكا ودول المحور

رسالة ونبوءة

لمحرر «الثقافة» السياسي

كان الرئيس روزفلت في رسالته التي أذاعها على الشعب الأمريكي لمناسبة العام الجديد، والتي تناول فيها موقف أمريكا من الحرب الحاضرة أشد صراحة ووضوحا منه في أية رسالة سابقة؛ وإذا كان الرئيس روزفلت لم يخف في أي تصريح سابق أن أمريكا تزمع بالرغم من حيادها أن تبذل كل ما في وسعها لمقاومة عدوان النازية والفاشستية، ونصرة الجبهة الديمقراطية، فإنه يحمل في رسالته الجديدة على دول المحور وعلى أغراضها أعنف حملة؛ ويصرح بصورة قاطعة أن أمريكا ستقف في هذه الحرب صراحة إلى جانب بريطانيا العظمى، وأنها لا تفعل ذلك مدفوعة بعوامل الروابط التاريخية والشعبية المشتركة، ووحدة النظم والمدنية والمصلحة فقط، ولكن أيضاً لأن أمريكا تعتبر أن بريطانيا خط دفاعها الأول، وأنه إذا قهرت بريطانيا، استطاعت دول المحور أن تتحكم في مصاير أوربا وآسيا وأفريقية والبحار، وتمكنت بذلك من أن تسير إلى العالم الجديد بقوى هائلة، وأن أمريكا يجب ألا تعتقد أنها تستطيع الاعتصام من الخطر عبر المحيطين الأطلانطي والهادي، بل بالعكس فإن الخطر يمثل أمامها منذ الآن، فإذا انهارت بريطانيا، أضحت معرضة لوثبات الطامع؛ وأن أمريكا إذا أرادت أن تتقي ويلات الحرب المباشرة فما عليها إلا أن تقدم لبريطانيا كل ما استطاعت من سلاح ومواد وذخيرة، وأن تشد أزرها في وقفتها التاريخية للذود عن المدنية والديمقراطية، وأن تغدو أمريكا بالفعل داراً لتموين الديمقراطية كلها بالسلاح، وأن تفعل ذلك كله بروح العزم والتضحية كما لو كانت تخوض الحرب ذاتها.

وإلى جانب هذه التصريحات القوية الواضحة عن موقف أمريكا من الفريقين المتحاربين، يصرح الرئيس روزفلت بأمرين في منتهى الأهمية والخطورة، أولهما أن الولايات المتحدة، إزاء ما توجهه إليها دول المحور من التهديد، لا ترى ثمة أي سبب يدفعها لأن تشجع حديث الصلح حتى يجيء اليوم الذي يبدو فيه عزم المعتدين على التخلي عن فكرة السيطرة على العالم. والثاني هو اعتقاد الرئيس روزفلت بناء على أحدث وأصح المعلومات التي وصلت إليه، بأن دولتي المحور لن تنتصرا في هذه الحرب.

***

لما نشبت الحرب الحاضرة، لبثت الحكومة الأمريكية مدى حين قبل أن تستطيع تحديد موقفها إزاء الفريقين المتحاربين بصورة جلية؛ وكان الحظر عندئذ قائماً على تصدير السلاح والمواد الحربية، وفقاً لقانون الحياد الأمريكي، وفي نوفمبر سنة ١٩٣٩، أصدر البرلمان الأمريكي قانون الحياد الجديد، وأباح فيه العودة إلى تصدير السلاح والذخائر إلى المتحاربين على أساس «الدفع والنقل»؛ ومع أن القانون لم يفرق في ذلك بين الدول المتحاربة، غير أنه كان من الواضح أن بريطانيا العظمى وحليفتها فرنسا يومئذ هما اللتان تستطيعان وحدهما الاستفادة منه لما تملكان من أموال احتياطية وأساطيل ضخمة؛ ومن ذلك الحين بدأت معاونة أمريكا لبريطانيا

وحلفائها بتصدير السلاح والذخائر ؛ فلما انهارت فرنسا ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا ، أدركت أمريكا فداحة الخطر الذى تستهدف له بريطانيا بوقوفها وحدها فى وجه الخطر الألمانى ؛ وصرح الرئيس روزفلت يومئذ بأن أمريكا ستمد خصوم القوة والعدوان بمواردها المادية ، وأخذت أمريكا فى مضاعفة جهودها لامداد بريطانيا بالسلاح والذخائر والمواد الحربية على اختلافها .

ووقفت بريطانيا وقفتها المشهورة فى وجه السلاح الجوى الألمانى فى شهرى أغسطس وسبتمبر الماضيين ، وأثبتت بما أنزلته بالطائرات المغيرة من الخسائر الفادحة ، متانة سلاحها الجوى ، ومناعة أسبابها الدفاعية ؛ وانهارت بذلك مشاريع الغزو الألمانى لبريطانيا ، مؤقتاً على الأقل ؛ فازدادت ثقة أمريكا وثقة العالم بقوة بريطانيا ومقدرتها الدفاعية ؛ وتقدمت أمريكا خطوة أخرى فى التفاهم مع بريطانيا على بعض خطط الدفاع المشتركة فى المياه الأمريكية ؛ ونزلت بريطانيا لأمريكا عن بعض القواعد الحربية الهامة فى بعض أملاكها الأمريكية فى مياه الأطلنطيق الغربية ؛ ونزلت أمريكا من جانبها لبريطانيا عن خمسين مدمرة كاملة العدة ؛ فقدمت بذلك أعظم عون للأسطول البريطانى على القيام بالمهام الخطيرة التى يضطلع بها .

وقع ذلك كله قبل انتخابات الرياسة الأمريكية ؛ وكان يخشى أن تتأثر هذه السياسة الحازمة فى تأييد بريطانيا بمنافسات الرياسة ؛ ولكن الرئيس روزفلت ما لبث أن خرج من هذه المعركة ظافراً بالرياسة للمرة الثالثة ، فى أوائل نوفمبر الماضى ؛ فكان ذلك ظفراً للسياسة التى اختطها من مقاومة العدوان الفاشستى ، ومناصرة الديمقراطية ، وتوطيداً لها ، وكان ذلك خير رد على الميثاق الثلاثى الذى سعت ألمانيا وإيطاليا إلى عقده مع اليابان ، قبل ذلك بأسابيع قلائل ، وفيه تزعم ألمانيا وإيطاليا لنفسيهما الحق فى وضع نظام جديد لأوربا ، وتعترفان لليابان بالحق فى وضع نظام جديد للشرق الأقصى ؛ وتتعهد اليابان نظير ذلك بالدخول فى الحرب إلى جانب دولتى المحور إذا دخلت فيها أمريكا إلى جانب انكلترا ؛ وكانت ألمانيا ترمى بذلك إلى إرهاب أمريكا وتثبيط همتها فى معاونة انكلترا ؛ فجاء انتخاب الرئيس روزفلت بالعكس دليلاً على أن أمريكا لا يثنيها عن ذلك أى وعيد أو تهديد .

وقد كان لذلك بالطبع أثره الواضح فى ازدياد المعاونة الأمريكية لبريطانيا ، وتدفق السلاح والذخائر والمواد الحربية إليها ؛ وكان من جراء ذلك أن لجأت ألمانيا ، بعد التهديد المقنع ، إلى التهديد المباشر ، وصرح الناطقون بلسانها بأن مضى أمريكا فى معاونة انكلترا على هذا النحو يعتبر موقفاً عدائياً ، وإن ألمانيا لا تستطيع أن تصبر على ذلك إلى ما لا نهاية ؛ وتلا ذلك أن هددت الصحف الألمانية وهى لا تنطق إلا بوحى حكومتها ، بأن الغواصات ستتصدى لإغراق كل سفينة تأتى بالامداد الأمريكية عن طريق المياه الارلندية .

وقد رأينا رد الرئيس روزفلت فى رسالته على ذلك كله . فقد بسط بمنتهى الشجاعة والصراحة موقف الولايات المتحدة ، وأكد عزمها الذى لا يتزعزع على مقاومة العدوان الألمانى إلى النهاية ، ومؤازرة بريطانيا العظمى بكل ما وسعت باعتبارها خط الدفاع الأول عن أمريكا ذاتها . هذا إلى أنه لا لوم ولا تثريب على أمريكا فى موقفها ، فهى لا تفعل فى معاونة بريطانيا بمواردها إلا كما تفعل روسيا والسويد وغيرهما فى إمداد ألمانيا ببعض المواد الحربية التى تستهلكها .

* * *

على أن أهم ما يلفت النظر فى هذه الرسالة التاريخية ، هو تصريح الرئيس روزفلت بأن الولايات المتحدة لا ترى

إزاء التهديد الفاشستي وجيهاً لأن يشجع حديث الصلح ، وبأنه يعتقد بناءً على أحدث المعلومات وأصحها أن دولتي المحور لن تنتصرا في الحرب .

فأما عن حديث الصلح ، فقد أغلق الرئيس روزفلت باباً كانت دولتا المحور تحاولان أن تلجآ إليه كلما لاحت لهما بارقة أمل في إنهاء الحرب لمصلحتهما قبل أن تبلغ بريطانيا مرتبة التفوق في القوى ؛ وقد بذلت أمريكا قبل نشوب الحرب وبعد نشوبها جهوداً عديدة لتسوية أسباب النزاع التي دفع بأوربا إلى الهاوية ، وكانت انكلترا وفرنسا وافقتا على استعداد للدخول في أية تسوية معقولة ؛ ولكن ألمانيا وإيطاليا وقفتا في وجه كل محاولة سلمية ، وأبتا إلا أن تلجآ إلى حكم القوة . وربما أراد الرئيس روزفلت أن يشير في تصريحه إلى بعض المحاولات التي حاولتها دولتا المحور أخيراً في هذا السبيل عن طريق بعض الدوائر المحايدة ، مثل الفاتيكان وغيره ، ولم تلق سوى الإعراض من جانب بريطانيا .

وأما نبوءة الرئيس روزفلت عن مصير الحرب ، فهي بلا ريب تصريح ذو شأن ؛ ومن المحقق أن كثيرين يشاطرون الرئيس اعتقاده ؛ وفي تطورات الحرب منذ أغسطس الماضي ما يشجع على هذا الاعتقاد ؛ فقد وقفت موجة الظفر الألماني في فرنسا عند شواطئ المانش ، وفشلت مشاريع هتلر في غزو انكلترا ؛ وانكشفت قوى الفاشستية في ألبانيا ، وفي الصحراء الغربية ، وكسبت بريطانيا معركة الامبراطورية في الشرق الأدنى ؛ واضطربت خطط المحور في البلقان وأوربا من جراء هذا التطور الفجائي ، واغتبطت فرنسا من جانبها بهذا التطور فازدادت مقاومة للضغط الألماني ، وازدادت إباءً لمطالب هتلر وشريكه المهزوم . هذا من ناحية تطور الحوادث الظاهرة ؛ بيد أن هناك ناحية أخرى لها قيمتها ؛ فنحن نعرف أن أمريكا ما زالت تحتفظ بممثليها في ألمانيا والبلاد المحتلة ، وأن الرئيس روزفلت قد أوفد من جهة أخرى بعض الثقات من المندوبين الخبراء لتتبع جهود انكلترا الدفاعية في البر والبحر والجو ؛ ولا بد أن الرئيس روزفلت استأنس في تكوين اعتقاده بتقارير هؤلاء الممثلين والخبراء ، عن أحوال الفريقين المتحاربين .

لقد وعد هتلر جنوده في الرسالة التي وجهها إليهم بمناسبة العام الجديد بأنهم سيحرزون في سنة ١٩٤١ نصراً يفوق نصرهم في العام الماضي ؛ وهتلر يكرر لجيشه وللشعب الألماني مثل هذا الوعد منذ أشهر ؛ وإذا كان ثمة في هذا الوعد من جديد فهو أن هتلر يشكو من أن العالم كله متحالف عليه ؛ بيد أن الوعد شيء ، والتنفيذ شيء آخر . وقد كانت لدى هتلر فرصة للعمل منذ يونيه الماضي ؛ ولعله كان قد أعد كل شيء لتتمة انتصاره الساحق على فرنسا ، للهجوم على بريطانيا العظمى ؛ ولكن وقفة سلاح الطيران البريطاني في شهري أغسطس وسبتمبر في وجه الحملات الجوية الألمانية ، وضعت حداً لسير الظفر ، وغيرت سير الحوادث في الغرب ؛ ومن ذلك الحين تتضاءل احتمالات الغزو الخطيرة لبريطانيا شيئاً فشيئاً ، وتزداد قوى بريطانيا الدفاعية ، وتبدو مناعة الجزيرة في أروع صورها .

ولا زال هتلر حيث وقف جيشه في يونيه الماضي على أطلال فرنسا المهزومة يلتمس السبيل لتحطيم الصخرة البريطانية ، ولا يجد أمامه حتى اليوم من وسيلة لمهاجمتها سوى الغارات الجوية المخربة ، والقرصنة في عرض البحار . ولكن تخريب المدن ، وقتل المدنيين ، وإغراق السفن التجارية لا تكسب حرباً ، ولا تنهيها ؛ وما زال على هتلر أن يجد لنفسه طريق النصر الذي يحلم بتحقيقه ، وهو طريق تزداد وعورته يوماً بعد يوم .

(***)

استعطاف

يا عروس الشعر هذا ... شاعر جئت معينه
شارد اللب معنّى ... واجف القلب حزينه
في غيابات الليالي ... طالما ثارت شجونه
ويحه من ساهدٍ لم ... تطعم الغمضَ جفونه
ما على الليل إذا انجا ... بت عن البدر دجونه ؟
ما على البدر إذا لا ... ح من الغيم جبينه ؟
ما على الغيم إذا فا ... ضت على الروض عيونه
ما على الروض إذا رَ ... نحت على النهر غصونه ؟
ما يضير النهر لو تر ... سو على الشط سفينه ؟
آه يا وحي يراعي ... أي عهد لا أخونه
ألهمني الشعر إني ... بين عينيّ أصونه
وإذا سال دموعاً ... فهو لا تحصى فتونه
تسحر الناس أغاني ... ـه وتشجيهم رنينه
والذي قد ذاب وجداً ... يرجف الكون أنينه
يا عروس الشعر عوديـ ... ـه فقد جن جنونه

(القاهرة) محمد علي مخلوف

نزعتان

للأستاذ زكي نجيب محمود

لقد تعجب أشد العجب لهذين الصديقين ، يتلازمان حتى لا يكادا يفترقان في غدو أو رواح ، فإذا هما اجتمعا لنقاش رأيت فيهما نقيضين لا يجتمعان ؛ ولطالما سعيت إلى مجلس هذين الصديقين أستمتع بما يدور بينهما من حوار ، يعمق أحياناً ويضحك أحياناً ، ولكنهما فيه طرفا نقيض على كل حال ؛ ولست أذكر أني جالستهما مرة دون أن يرد إلى خاطري هذا التقسيم الذي اقترحه وليم جيمس ، والذي يقسم الناس شطرين ، يطلق على أحدهما « أصحاب العقول الحساسة » ، ويطلق على الآخر « أصحاب العقول الجافة » ؛ ويضع في الفريق الأول المتفائلين والمتدينين والموحدين والمحافظين والقائلين بحرية الإرادة عند الإنسان ؛ كما ينظم في الفريق الثاني المتشائمين والملحدين والمتشككين والقائلين بالجبر في إرادة الإنسان والذين يعتمدون في الرأي على التجربة والحواس .

جلس الصديقان ذات مساء يتحدثان حديثاً حافلاً شاملاً ، كأنما أراد كل منهما أن يبسط نفسه بسطاً فلا يخفي من مكنونها شيئاً :

— سبحانك اللهم ربي ، قد خلقت هذا الوجود فسويت ، فكأن في هذي الكائنات أنغاماً من لحن متسق جميل ، كل شيء في الكون يجاوب كل شيء ؛ انظر إلى غريزة الأمومة عند الحيوان تزداد شدة ورسوخاً كلما ازداد النسل ضعفاً ، وهي تزداد فتوراً كلما كان الصغار أقوى على احتمال الحياة بغير حنان الأمومة ؛ وانظر إلى هذه الزهرات التي لا تخصب إلا إذا وجدت ما ينقل اللقاح من ذكرها إلى أنثاها ، فقد بدت أروع ما يكون الزهر جمالاً في أعين النحل ، فيجتذب مشوقاً إليها ، ينتقل فرحاً مرحاً من زهرة إلى زهرة ، فينتقل معه اللقاح المخصب من الذكر إلى الأنثى وهو لا يدري ؛ ثم انظر إلى هذا الذي يرويه هيرودوت من أن الحيوان الخطر — كالأفاعي — لا ينسل إلا قليلاً وفي عسر شديد ، لأن خطرها وحده كفيل ببقاء هذا النسل القليل ؛ أما الحيوان الذي يقع فريسة لغيره ، لعجزه عن الدفاع ولأنه يصلح أن يكون طعاماً — كالأرانب — فقد مُكِّن له من النسل الغزير الكثير ليضمن البقاء بكثرة الأبناء .... تلك وأشباهها — عندي — آيات بينات على ما في الكون من تدبير حكيم .

— وهي عندي أدلة ناهضات على أن الطبيعة قد عبثت حتى أسرفت ؛ مثلها في ذلك كرجل أراد أن يصيد أرنباً في مزرعة ، فأطلق الزرعة على ألوف الأرانب وجمع آلاف البنادق ، وأخذ يصب ناره صباً حامياً ليظفر بالأرنب التي يريدها ، أو كرجل أراد لنفسه بيتاً يسكنه ، فابتنى مدينة بأسرها ، سكن منها منزلاً وخلّف باقيها للدمار ؛ إن هذه الطبيعة يا صاحبي تهلك شيئاً لتبقي على شيء ؛ إنها تفني أمة لتبقي على أمة ، وتقتل فرداً لتمهد الحياة لفرد ؛ إنها تتلف زرع الزارع لتسقط المطر ، وتفتك بحيوان ليحيا بلحمه حيوان .

— أرسل بصرك يا أخي إلى الأفق وانظر إلى هذا الجمال الفتان : أنظر إلى الشفق وقد خضب السماء ، وإلى الأشجار الباسقة وقد انتثرت في نظام بديع ، ثم إلى ..

— صه : ماذا أسمع ؟ إن طائراً يصيح في هذه الأشجار

تعتريها صيحة الفزع ، فتظل طيراً جارحاً قد هتك به ليطعم .

— أفهم ما تريد ، ولولا أننا في صدر الربيع ، حيث الأرض قد لبست زخرفها وازينت في أعين الناظرين ، فانتعش بين أحنائها الأمل والرجاء ، لشاركتك في هذه النظرة السوداء ؛ إن كل ما حولنا ناطق بنشوة الحياة وجمالها ، وهذه الزهور اليانعة وحدها لحقيقة أن تمسك في لحن الوجود ، ولكن . . .

— نعم ، كانت هذه الزهور كفيلة بهذا ، لولا أنني رأيت في طريقي إليك صبياً يبيعها ، وكان الصبي عارياً جائعاً لا يرحمه الراحمون ، فقلت لنفسي : أيكون في الدنيا جمال وبين دفتيها مثل هذا البائس المسكين ؟

واتجهت أنظار الصديقين إليّ كأنما يستطلعان رأيي ، فقلت : ليس لي ممكناً رأيي ، غير أني آنست أن المنطق هراء في هراء ؛ إن تفكير الانسان بمثابة مزاجه ، وإذا اعتدل هذا اعتدل منه ذلك ، وإن مال مال ؛ فلا مناص من أن ترى أنماطَ الناس المختلفة أنماطاً مختلفة من التفكير ، ولا سبيل إلى وحدة الرأي إلا إن اتحد المزاج ، وهذا محال ؛ فحسبك أن تعلم عن شخص ما مزاجه لتعلم كيف يفكر ؛ إن الدنيا لتعرض حقائقها أمام أبصارنا ، فينظر كل منا إلى هذه البضاعة المعروضة من ناحية تتفق وذوقه ، والعجيب أن كلا واحدٌ منها ما يؤيد وجهة نظره ، ذلك لأن ميل الانسان يمسك زمام انتباهه فيوجهه الوجهة التي يريد ، فيرى المتفائل من الظواهر جانباً ، ويرى المتشائم منها جانباً آخر ، ومن مجموعة ما يرى الانسان ينشأ مذهبه .

فقال صاحب العقل الحساس لصاحب العقل الحاد — على حد تعبير وليم جيمس :

— لست أشك في هذا الذي يقوله فلان ، فلن يصلح أمرك إلا إن طرحت المنطق الصارم جانباً ، وبدلت من مزاج نفسك التعس قادراً على فهم الوجود فهماً صحيحاً ؛ إنك لن تبلغ حقائق الوجود العليا إلا إن أقبلت عليها إقبالاً على غير هذا النحو التحليلي الذي تنهجه ، أما إن أصررت على تشريحه بمبضع العقل الجاف فلن تصل منه إلا إلى جثة باردة لا حرارة فيها ولا حياة ؛ وإن أردت لنفسك الخير فاصطنع في ذلك أسلوب المتصوفين .

— وما ذاك ؟

— ألا تستند في فهم الدنيا إلى عقلك وحواسك ، لأن حقائق الدنيا فوق العقل والحواس ؛ إن التصوف يشترط مزاجاً خاصاً بغيره لا يمكن الفهم ، ولا يجدي كثيراً أو قليلاً عما عند الباحث من علم ومعرفة .

— إن كانت حقائق دنياكم فوق مقدور الحواس والعقل ، فهي عندي ليست جديرة بمشقة البحث والفهم ؛ إني أعرض كل شيء أمام محكمة العقل ، فإن استطاع أن يبسط نفسه بسطاً واضحاً فذلك علم صحيح ، وإلا فهو خرافة مشوهة لا أقيم لها وزناً ولا قدراً ؛ إن هؤلاء الذين يفرون من حكم العقل ليحتموا وراء الإيمان هم طبقة دنيا من المفكرين ، هم أصحاب عقول عاجزة لا تملك لنفسها دفاعاً من هجمات أصحاب العقول المنطقية الراجحة ، إن التقوا بهم في معترك مكشوف ؛ هم فئة حرموا القدرة العقلية القوية فتراجعوا قائلين إنه حسبهم ، وإن حقائق الحياة العليا : الله والنفس وطبيعة الوجود لا يمكن فهمها بالعقل مهما بلغت قدرته .

— قل ما شئت ، وحسبي أن العقل الصرف لم ينتج على مر الزمن إلا فلسفات متضاربة ، ولو ركن هؤلاء الأفذاذ إلى البصيرة لكان شأنهم غير هذا الشأن .

***

ثم استطرد الصديقان يتجادلان في شتى نواحي

الفكر ؛ فصاحب العقل الحساس لا يتصور أن يكون الكون مادة تخلو من الروح ، بل الكون عنده نفس كبرى كهذه النفس الانسانية الصغرى ؛ إنه لا يطيق أن يكون الانسان دابة على الأرض لا تربطها بأطراف الوجود أقوى الوشائج ، فذلك في رأيه يؤدي به إلى عزلة روحية لا يحتملها ؛ وأما صاحب العقل الجاف فلا يريد أن يرى في الكون إلا ما تدل عليه الحواس : مادة صماء ، وما هذه الحياة الانسانية في هذا الخضم الزاخر من المادة إلا فقاعة ماضية عابرة ، هي ظاهرة كهذه الظواهر الكثيرة لا أكثر ولا أقل .

وصاحب العقل الحساس يرى في الإنسان كائنا حر الارادة ، فعله على وهو ينفذه ، ولو لم يكن كذلك ما كانت له قيمته بين سائر الكائنات ، وأما ذو العقل الجاف فمن رأيه أن الإنسان لا يملك الاملاء ؛ إن الرغبة في شيء ما ، تلك الرغبة التي فطرت في [illegible] نريد ، والعقل أداة تدبر الطريق الذي يوصل إلى ما تنشده الارادة .

يرى العقل الحساس أن الفكرة إذا امتزجت بالعاطفة وأصبحت شعراً ، زاد ذلك من قدرها ، وأما زميله فتقنعه أن العاطفة تقلل من شأنها ، وخير للفكرة أن تصب في قالب واضح ولفظ مستقيم كالذي تصطنعه العلوم .

* * *

للصديقين نزعتان مختلفتان في كل شيء ، وإلى هاتين النزعتين ينقسم الناس جميعاً ، فئة تحس دفء الحياة ، وأخرى لا تبصر حولها غير الموت ؛ فئة يلفت نظرها ما بين الكائنات من أوجه شبه فتوحد الوجود وتوحد خالق الوجود ، وأخرى يلفت نظرها ما بين الكائنات من أوجه خلاف فتحلل الوجود في المعامل ، فإذا به ذرات كثيرات تكاد تخلو من النفس : النزعة الأولى هي نزعة الفن والأدب وما إليهما ، والثانية نزعة العلوم ؛ الأولى تتمثل في أفلاطون الذي اشتبهت في عينه الموجودات فطواها تحت نماذج من المُثُل ؛ والثانية يصورها أرسطو الذي حلل كل شيء ، ونظر إلى الأفراد على أنها حقائق في ذواتها تستحق البحث والنظر .

النزعة الأولى تسود التفكير الألماني ، فالوجود على وجه العموم هو الكل والأجزاء لا شيء ، ومن ذلك اشتقوا نظريتهم في الدولة : الدولة هي الكل والأفراد لا شيء ؛ والنزعة الثانية تسود التفكير الانجليزي ، فلا بد في هذا التفكير من التحليل ، بدأه بيكون وعقبه لوك ، وعقبه الآن برتراند رسل ، فالأجزاء كل شيء ، والكل ليس إلا مجموعة أجزائه ، ومن هنا استمدوا رأيهم في الدولة : الأفراد كل شيء ، والدولة مجموعهم .

وهكذا ينتهي هذا الحوار الجميل مفضياً منتهياً ، [illegible] الرأي هو في صميمه اختلاف بينهما في [illegible] ؛ ومن العبث أن يطلب إلى أحدهما أن يفكر على غرار أخيه إلا إذا جاز أن يطلب إلى لابس المنظار الأزرق أن يرى الدنيا كما يراها لابس منظار أحمر ؛ فاعجب على نفسي منذ ذلك الحين أن يكون التسامح مبدئي أول الأخلاق .

زكي نجيب محمود

المقاومة الشـــعبية

عند قدوم نابليون إلى مصر

للأستاذ أحمد غاكى

يبدأ تاريخ مصر الحديث من اليوم الأول الذى وطئ فيه نابليون أرض بلادنا المقدسة ، فقد بدأت مصر الحديثة منذ ذلك اليوم أن تستيقظ ، بعد أن مضت عليها حقبة من الزمن استسلمت فيها للدعة والاطمئنان ، وقد بدأت علاقاتها مع الدول الأوربية تتوثق ، وبدأت الدول الأوربية من ناحيتها تنظر إلى مصر نظرة المرشد الناصح حيناً ، والطامع المتعنت أحياناً . ولكن أهم أشد ما يميز تاريخ الأمم الحديثة هو ذلك الشعور القومى الذى طاف بها منذ بداية القرن التاسع عشر ، وقد تنبه الشعور القومى عند الأمم الحديثة بفضل نابليون ومقاومته : تنبه ذلك الشعور فى ألمانيا وفى إسبانيا وفى إيطاليا ، لأن هذه الأمم جميعاً ثارت على نابليون ، ولأن المقاومة التى اصطنعتها كل الفضل فى تكوينها القومى ؛ والمقاومة فى كل أمة هى التى تبعث الشعور الأول الذى يميز المبدأ القومى .

فهل نلق حين نبحث تاريخنا الحديث مثل ذلك الشعور القومى الذى ميز حياة الشعوب الأوربية فى القرن التاسع عشر ؟ أليس يحق لنا أن ننظر إلى تاريخ مصر منذ الفتح الفرنسى إلى الآن كوحدة عامة تنمو فيها القومية المصرية ، حتى بلغت عنفوانها فى القرن العشرين ؟ أجل ! إن لنا أن ننظر تلك النظرة العامة ، ولكن ينبغى ألا نسرف كثيراً فى تقدير شعورنا القومى عند الحملة الفرنسية ؛ ذلك بأن الممالك الأوربية الأخرى التى قاومت نابليون ، كانت قد بلغت درجة كبيرة من التقدم ، فهى قد أفادت من شعور المقاومة الذى طاف بأفرادها ، وقام من بينهم زعماء نبهوا حقوق الشعب . وكان أفراد هذه القوميات قد نالوا قسطاً عظيماً من الثروة والعلم ، فتمثلت مقاومتهم لنابليون فى حركات شعبية عامة . لكن مصر كان ينقصها كثير من العلم والمال ، فلذلك لم تكن المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية ظاهرة كل الظهور ، ولم تنتج ما أنتجته الحركات الأخرى من وضع أسس دستورية ، أو جهاد فى سبيل إصلاح النواحى العامة .

حينما أغارت الحملة الفرنسية كانت القوى موزعة فى مصر بين ثلاث قوى : كانت القوة الأولى عسكرية ، فى أيدى المماليك الذين ورثوها عن فئات منهم ، وانتقلت بين أيديهم من جيل إلى جيل . كان هؤلاء موكلين بأمر القطاع من مصر ، ولكنهم كانوا يحتمون على نظم القطاع القديمة ، وكان غاية ما يحسنونه أساليب الفروسية من كرّ وفرّ وغير ذلك . ثم كانت هنالك قوة ثانية ، هى قوة البدو الذين سكنوا الصحراوين الشرقية والغربية وكثيراً من أنحاء الصعيد . وكان بين هؤلاء البدو عصبية تجمع بينهم ، وتخلق منهم قوة عنيفة إذا أحسن القيام عليها . ثم كانت هنالك قوة ثالثة خفية فى الشعب المصرى نفسه ، وهى خليط ممتزج من عقيدة الشعب الدينية ومن شعوره بأن هؤلاء المغيرين كانوا أجانب يجب أن يدفع بالإثم

تلك هى القوى الثلاث التى التقت بها الحملة الفرنسية حينما أغارت على مصر . ولكن لم كانت المقاومة فى مصر

ضعيفة واهنة ؟ ولم استطاع نابليون أن يقضي عليها في قليل من الزمن ؟ كانت هذه القوى متوزعة ، ولم تكن في البلاد حكومة تستطيع أن تنسق تلك القوى الثلاث ، بل لم يكن في مصر جيش قائم مدرب على أمور الدفاع ؟ وكان زعماء المماليك يجهلون كثيراً من نظم الحرب الحديثة ، وكانت بهم حزازات لم يستطيعوا أن يتناسوها في ساعة الخطر المحدق . وكان الجيش الفرنسي ثلاثين ألفاً أو يزيد ، وكلهم جنود خبروا الحرب ، وذاقوا حلاوة النصر ، وكان نابليون نفسه على رأس هذا الجيش واتبع خططاً حربية حديثة كفلت له النصر السريع . لذلك أخفقت المقاومة العسكرية التي تزعمها المماليك ، والتي ساعدهم فيها بدو الصحراء . وكان أشد مثل مُنيت به تلك المقاومة في واقعتين : أولاهما شبراخيت في ١٣ يوليه سنة ١٧٩٨ ، وثانيتهما في امبابه في ٢١ يوليه سنة ١٧٩٨ .

لم يكن هنالك جيش قائم من الشعب المصري ، بل كان أمر الدفاع موكولا إلى هؤلاء المماليك ، هذا على أن آلافاً من المصريين اشتركوا فعلا في ذلك الدفاع واضطربوا بين صفوف المماليك . لكن قوة المصريين كجماعة بدأت تظهر جلية واضحة في الأشهر القليلة التي تلت دخول الحملة الفرنسية . وكأنما كان المصريون في سبات عميق فأيقظتهم أحداث الحملة ؟ كان المماليك قبل ذلك يتولون القوة السياسية المشئومة ، لكن المصريين كانوا راضين بحكم المماليك على ما كان ينطوي عليه من ضعف ، لأنه كان لذلك الحكم تقاليد تحفورت في الحياة المصرية من جيل إلى جيل . أولئك المصريون اغتروا حين رأوا أن هذه السلطة السياسية قد انتقلت إلى أجانب لا تجمعهم بالمصريين صلة من الدين أو العادة أو العرف . لذلك لم يدع المصريون مطلقاً للحكومة الفرنسية الجديدة ، على الرغم من أن هذه الحكومة حاولت أن تستهويهم وتستغلهم بتحقيق الوعود ، بل وحاولت أن تضع من شأنهم وأن تدفعهم إلى التقدم في كثير من نواحي الحياة .

كان نابليون يريد أن يجتذب الشعب المصري إليه ، فكان أول ما عمل عند قدومه إلى مصر أن أذاع منشوره المعروف . وفيه نعى على المماليك أنهم أفسدوا في مصر ، وفيه يكاد يدعي أنه مسلم ، وفيه يتملق الوطنية المصرية . لكن أهم ما فيه أنه وعد بإقامة حكومة أهلية يدير شؤونها العلماء والفضلاء . وإقامة حكومة أهلية كان شيئاً لم يسمع به المصريون من قبل ، ولعلهم لم يكونوا يعرفون كيف تكون الحكومة أهلية . ولكن لم يكن نابليون كريماً صادقاً في بذل تلك الوعود ، فلم يكن يريد من كل ذلك إلا أن تستقر الحال في مصر . فهو لم يكن يرمي من وراء هذه الحكومة الجديدة إلا إلى اتخاذها واسطة بينه وبين الشعب حتى يستطيع أن يحصل على الضرائب التي [illegible] وحتى يستمع الشعب أوامره حين يوافق عليها [illegible] . وقد كان نابليون يظن أنه سوف يكسب عطف المصريين حين يقيم حكومته على أساس شبه دستوري ، لكن الشعب المصري لم ينصرف عن سوء الظن بالأجنبي . بل لقد كان الشعور الاجتماعي حياً متنبهاً ، حتى أصبحت العلاقة بين المصريين والفرنسيين سلسلة من القلق والمقاومات والثورات .

أقام نابليون حكومته الجديدة ، محاولاً أن يشرك بعض شيوخ الأزهر وعلمائه في الحكم ، فابتكر نظام الديوان . وهذا في نفسه اعتراف بقوة الشعب المصري الناشيء . ولكن هذا الشعب المصري لم يكن حينئذ يشعر بقوته تمام الشعور ، لأن الفرد والمال كانا منفصلين . لذلك لم يستطع هؤلاء العلماء أن يستفيدوا من موقفهم هذا . كان يشعر الشعب بذلك الضيق أو الهوان التي علقت بالنفس ، إلا خففت أو أهينت أو اعتدي عليها .

وما لبث هذا السخط أن انقلب إلى ثورة بعد ثلاثة شهور من وجود الفرنسيين . وكان يوم ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ يوما مشهوداً في القاهرة ، لأنه اليوم الذي ثار فيه المصريون على الفرنسيين ، ولأن ثورة الشعب الخفية التي انكشفت في ٢١ يوليه لم تزل تحاول أن تجد لنفسها مخرجاً حتى انفجرت في ٢١ أكتوبر ، وبين التاريخين حدثت أحداث كان من شأنها أن تثير المصريين ، ولنبحث قليلاً في تلك العوامل التي أدت إلى هذه الثورة.

أما أول هذه العوامل فهو عامل اقتصادي . وقد تحطم الأسطول الفرنسي في واقعة أبي قير البحرية في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ ، وشعر الفرنسيون أنهم لا بد أن يستغلوا موارد مصر استغلالا كاملا لأن الصلة انقطعت بينهم وبين فرنسا ، لذلك لجأوا إلى فرض الضرائب حتى أرهقوا الأهالي إرهاقاً لا حد له . فقد طلبوا قروضا من تجار يبلغ مجموعها [illegible] وفرضوا قروضا إجبارية خاصة يؤديها أصحاب [illegible] المهن . واشتطوا كثيراً في [illegible] عن الأملاك وأساءوا معاملة زوجاتهم ، حتى أخذوا من زوجة مراد بك وحدها ٦٠٠ ألف فرنك . وأسرعوا في قتل الذين خالفوهم من مماليك وعرب ومصريين .

ثم إن الفرنسيين حاولوا أن يصلحوا كثيراً من أبنية القاهرة حتى توافق أساليبهم في الدفاع والهجوم . فقد كانت القاهرة تضيق شوارعها وأزقتها ، وكان على كل حارة باب يحتمي الناس وراءه . وقد خشي الفرنسيون أن تساعد تلك الأبواب على العصيان فهاجموا بعضها ، فأثار ذلك شبهات العامة . لكن العامة أحرجوا كثيراً حين دخل الفرنسيون في شئونهم ، إذ لم يحاول أحد من قبل أن يلزمهم بتغيير عاداتهم الخاصة . ثم إنهم كانوا يرون في تلك الحارات محصناً وأمناً . زد على ذلك أن الفرنسيين في نفس الوقت كانوا يحصنون القلعة فحسب الناس أنهم مقبلون على أمر جليل وفقدوا الأمن والراحة والطمأنينة .

على أنه إلى جانب تلك العوامل كان هناك عامل اجتماعي آخر ، هو ذلك الاختلاف في الأمزجة والعادات بين الفرنسيين والمصريين . وظهر اختلاف العادات بين الفريقين في الفترات القليلة التي كانوا يختلطون فيها ؛ وقد حاول نابليون أن يقيم حفلات في مهرجان النيل ، والمولد النبوي ، وتعيين أمير الحج ، وعيد الجمهورية الفرنسية ، حاول نابليون أن يقيم هذه الحفلات ليجتذب إليه الشعب المصري ، لكن الشعب المصري كان محافظا ، فساءه ما كان يظهره الفرنسيون في تلك الحفلات من إسراف في طلب السرور ومن تهتك النساء في أحيان . فلم يستسغ المصريون مثل تلك الحفلات حتى لقد كان رفض جمهورهم أن يشتركوا فيها .

ولنحلل هذه الثورة التي ظهرت في ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ ، واجتمعت لجنة من الثوار في الجامع الأزهر ، وليس من شأننا أن نعقب ما حدث في ذلك اليوم العصيب ؛ ولكن حسبنا أن نقول إن تلك الثورة أظهرت فئتين من الزعماء ، كان لهم أكبر الأثر في الحوادث التي حدثت في مصر في السنين السبع التي بدأت بقدوم نابليون وانتهت بولاية محمد علي . أما الفئة الأولى فهي فئة شيوخ الأزهر وعلمائه ، وكانوا أكثر المصريين علما ومالا . وقد أجلسهم نابليون على كراسي الزعامة حين اختار بعضهم أعضاء في الديوان . أما الفئة الثانية فقد كانت فئة زعماء الرعاع . وأولئك قوم من أولاد البلد لم يؤتوا إلا قليلا من العلم ، لكنهم كانوا يسيطرون على الرعاع والدهماء . والملحوظ في الثورات دائما عند المتحضرين : نلحظ قادة مستنيرين إلى جانب آخرين غير مستنيرين ؛ وزعماء الرعاع هم الذين يظهرون في أول الأمر فيقودون العامة إلى التدمير

تغذية الفلاح وعلاقتها بالديدان الطفيلية التي تصيبه

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

استرعت حالة الأطفال في معاهد التعليم المختلفة انتباه الرأي العام المصري لما نشر عن حالتهم الصحية، وسوء تغذيتهم وهزالهم، حتى قامت بعض الهيئات بتنظيم الحفلات لجمع التبرعات وصرفها في تغذية هؤلاء الأطفال، ولم تلبث هذه الحركة أن تلاشت كما تلاشى كثير غيرها في مصر.

وهذه الحالة السيئة من جهة التغذية ليست مقصورة على أطفال الفلاحين، فالكبار أيضاً في كثير من جهات مصر تظهر عليهم علامات نقص التغذية، ولا يسلم العمال المصريون وأطفالهم من ذلك أيضاً.

ومسألة التغذية مسألة معقدة لها وجوه مختلفة، أولها وجهة اقتصادية تتعلق بمقدار كسب العامل والفلاح، وكفاية هذا الكسب أو عدم كفايته لسد مطالب الحياة المختلفة للعائلات الكبيرة العدد، وهي تتأثر بمقدار ما يصرف من الدخل على التغذية. وكثيراً ما يصرف معظم الدخل على مظاهر الخارجية للأفراد على حساب ما يلزم لتغذيتهم؛ والتغذية تتأثر أيضاً بحسن أو سوء الاختيار لمواد الغذاء. فالكثيرون ينقصهم معرفة أرخص المواد الغذائية ثمناً مع أصلحها لسد حاجات الجسم.

كل هذه وغيرها أمور لها أهمية كبيرة في حالة الشعب الغذائية. أضف إلى ذلك قلة المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها في تقدير القيمة الغذائية لمختلف الأطعمة الشعبية في مصر، ومن حسن الحظ أنه بدئ أخيراً في دراسة هذا الموضوع الأخير. والآن سوف لا أتعرض لهذه الوجوه المختلفة لمسألة التغذية، وسأقصر كلامي فقط على أثر الديدان المعوية المنتشرة عدواها في مصر على تغذية الشعب المصري.

والتخريب، ثم يظهر المستعمرون أخيراً بمظهر حماة الثورة. وقد حدث ذلك في سنة ١٧٩٨ وما بعدها. فقد بدأت هذه الثورة بالتدمير والتخريب، وكان يقودها رجال من أبناء البلد لهم عزة وكرامة. لكن هذه الثورة خمدت وما لبثت أن تجمعت تحت زعامة العلماء حتى تولاها السيد عمر مكرم بعد خروج الفرنسيين من مصر.

وكذلك بدأت الحملة الفرنسية والمقاومة الشعبية لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً في حياة مصر السياسية. ولكن لم تمض عليها شهور ثلاثة حتى أصبحت هذه المقاومة كل ما يهتم له نابليون وجيشه. ولا شك في أن إخماد الثورة كان قاسياً، لكن الثورة أظهرت الفرنسيين والمصريين في موقفهما الحقيقي. فقد ألغى نابليون الديوان، وأغلظ القول لأعضائه، ودخل الأزهر بجيوشه، وتخلى المصريون عن ذلك الشك الذي كان يداخلهم، فكان العداء بينهم وبين الفرنسيين صريحاً.

فنذكر إذاً أن مصر قد تحرك فيها شعور المقاومة الشعبية عندما غزاها نابليون. ولنذكر أن هذا الشعور لم يكن قومياً أو وطنياً بالمعنى الذي نفهمه الآن، ولكن لعله كان شعوراً اجتماعياً بأن الظلم ويشعر بالهوان. وقد كان هذا الشعور مقدمة لحياة قومية عرف فيها الشعب نفسه، لكنها لم تبلغ عنفوانها إلا بعد قرن أو يزيد.

أبو سلطانة أحمد عاكي

وعلاقة عدوى الطفيليات بالتغذية قد عرفت من زمان بعيد؛ فقد ذكر ابن سينا في كتابه القانون في الطب منذ تسعة قرون أن المصابين بالدودة الوحيدة يشكون دائماً من جوع كلبي، فهم يقبلون على الطعام بشهية كبيرة، يستوعبون منه مقداراً كبيراً، وذلك غير مقصور على عدوى الدودة الوحيدة، فالأمهات المصريات كثيراً ما يحضرن أطفالهن للطبيب قائلات إن الطفل يأكل كثيراً، ولكن لا يظهر لهذا الأكل أثر في نمو جسمه. ويتبين عند الفحص أن الطفل يأوي الكثير من ثعابين البطن (الاسكارس) في أمعائه.

وقد نبه علماء المصريين لعلاقة أخرى بين الطفيليات وتغذية الفرد؛ فقد جاء في ورقة البردي الطبية الشهيرة Ebers Papyrus أن الدودي (الديدان) تسبب بطأ في نمو الجسم وتأخيراً في الوصول إلى سن البلوغ.

وما شوهد على الإنسان ينطبق أيضاً على غيره من أنواع الحيوان في مصر، بل إن الحيوانات أشد إصابة، فالمواشي المصرية والأغنام والدواب تأكل كثيراً ولا يظهر أثر ذلك عليها، فهي على حال سيئة من الضعف والهزال؛ ولا غرابة في ذلك، فكثير منها يأوي في أمعائه آلافاً من الديدان التي تمتص غذاءه ولا تترك للحيوان إلا القليل مما يأكله ليمتص من الأمعاء ويستخدمه الحيوان غذاء.

ولنأخذ مثلاً ديدان الاسكارس (ثعابين البطن) فهي ديدان يبلغ طول الواحدة منها ربع متر، ويوجد منها عادة في أمعاء المصاب بضع عشرات، وقد تبلغ في حالات قليلة عدداً كبيراً؛ فهناك طفل من قليوب خرج منه بعد العلاج ٢٥٣ دودة من الاسكارس محفوظة في متحف كلية الطب. فلنتصور طفلاً يأوي ٥٠ دودة، وهذا ليس بالعدد الكبير، يأكل طعامه العادي الذي لا يكاد يهضم حتى تلتهمه هذه الديدان الواقفة للغذاء بالمرصاد. وإذا علمنا أن كل أنثى من هذه الديدان تضع في اليوم الواحد ٢٠٠,٠٠٠ بويضة وهي تزود كل بويضة بمقدار من المح لغذاء جنينها داخل البويضة حتى يبلغ أشده، وإذا علمنا أن المح هو من أدسم مواد الغذاء وأغناها، لأمكننا أن نتصور المقدار الكبير من الغذاء الذي تمتصه الاسكارس من أمعاء الطفل المصاب بها، وأنها لا تترك له إلا القليل ليتمتع به، ولهذا لم يأكل الطفل كثيراً ولم تشكو الأمهات من أن هذا الأكل الكثير لا يظهر له أثر في نمو الطفل.

وهذا هو الحال أيضاً في الدودة الوحيدة التي تبلغ سبعة أمتار طولاً وتبلغ عقدها ألفاً كل منها كأنها حيوان مستقل من الوجهة التناسلية، تخزن العدد الكبير من البويضات، وتحتاج لكميات كبيرة من الغذاء تزود بها أجنتها، وعلى ذلك فليس هناك غرابة في أن المصابين بها يشعرون بجوع مستمر كجوع الكلاب كما ذكر ابن سينا.

وهذا هو الحال أيضاً في عدوى ديدان الانكلستوما التي تضع الأنثى منها ٢٠,٠٠٠ بويضة كل يوم. وتمتاز ديدان الانكلستوما عن الديدان الأخرى بإفرازها سماً يحدث فقر الدم، ويضعف قوى الفرد البدنية ويضعف حدة ذكائه.

أما البلهارسيا المعوية فتؤثر على التغذية بإتلافها جدر الأمعاء الغليظة فتعوق امتصاص الغذاء، وتفتح لمختلف الميكروبات طريقاً للدخول إلى الجسم.

وهذه الطفيليات المختلفة لا تنتشر بنسبة واحدة في أنحاء القطر المصري، فهي أكثر انتشاراً في الوجه البحري منها في مصر الوسطى، وهي نادرة الوجود في مصر العليا، أي مديريات جرجا وقنا وأسوان. وذلك يرجع إلى انتشار الري بالراحة وكثرة ترع الري وارتفاع مستوى الماء في باطن الأرض ورطوبة التربة.

ففحص سكان قرية محلة الحسن في مركز كوم حماده تبين أن ٩٦٪ منهم مصابون بعدوى الطفيليات، بينما تبين بفحص سكان قرية الساعية بمديرية أسوان

سنة ١٩٣٣ أيام ريها ريا حوضيا أن بها صفرا ٪ مصابا بعدوى الطفيليات . ولكن بعد إدخال الري الصيفي إليها بواسطة الطلمبات صارت عدوى البلهارسيا بها ٤٤٪

وانتشار عدوى الطفيليات له أثر خصوصي في حالة التغذية ، ولكن كثيراً من الباحثين قد أهملوها عند دراستهم هذا الموضوع . فمتوسط كسب الفلاح في أراضي الدلتا يفوق كثيراً ما يكسبه زميله في مديريات جرجا وقنا وأسوان ؛ وكمية الغذاء التي يتناولها الفرد في الوجه البحري أكثر وأسخى ومتنوعة إذا قورنت بما يأكله الأفراد من نفس الطبقة في المديريات الجنوبية ، وهم الذين تنتج أراضيهم محصولاً واحداً في السنة عقب فيضان النيل ، ثم تستمر جرداء معرضة للشمس المحرقة باقي العام إلى أن تغمرها مياه الفيضان في العام التالي

إن أصحاب الأملاك في هذه المديريات الجنوبية متذمرون من هذه الحالة ، ويطالبون الحكومة دائماً بتحويل أرضهم من ري حياض إلى ري مستديم لزيادة دخلهم . ولكننا إذا قارنا صحة سكان هذه المناطق الجنوبية بصحة سكان الدلتا لوجدناهم أحسن المصريين صحة وأقواهم عضلاً وأطولهم أعماراً ؛ فعليهم نعتمد في الأعمال الشاقة كتمهيد الطرق وإنشاء المباني الضخمة ومد الطرق الحديدية وشق الترع والمصارف حتى في أنحاء الدلتا نفسها وشحن وتفريغ السفن في الموانئ ، فهم هم الصعيديون الذين يحتكرون هذه الأعمال ؛ وما ذلك إلا لأن المقاولين قد وجدوا بالخبرة أنهم أكثر إنتاجا وأشد قوة من سكان الدلتا . ولو شاهدنا هؤلاء الصعايدة مجتمعين فيما يسمى التراحيل لوجدناهم يعيشون على طعام ناشف يحملونه في أكياس من الخيش يكون معظمه من الخبز الجاف المصنوع من الأذرة والشعير وقليل جداً من الإدام مما يجدونه في المزارع في الأماكن التي يشتغلون بها .

ومرض البلاجرا — وهو أهم مظهر لنقص التغذية في مصر — لا أثر له في مديريات الوجه القبلي الجنوبية ، ومعظم حالاته في ريف الوجه البحري ، حيث وجد في بعض القرى أن نسبا عالية من السكان مصابون به ؛ وهذا المرض يسبب طفحاً جلدياً في الأجزاء الظاهرة من الجسم التي لا تغطيها الملابس ؛ وهي الوجه والرقبة والصدر خارج حدود الجلباب ، وكذلك اليدان عند نهاية الأكمام والقدمان ؛ وهذا الطفح يسميه الفلاح القشف ، هذا المرض هو الذي يعتمد عليه الباحثون في تقرير نقص التغذية وتحديد مناطقها في مصر ؛ وقد وجد أن الطفيليات موجودة بكثرة في الأفراد المصابين بهذا المرض ، حتى إن بعض الباحثين قد قرر أن البلاجرا في مصر نتيجة لعدوى الطفيليات ، واعتبر الطفيليات كسبب مباشر للمرض ؛ وأثناء الحرب الماضية تفشى مرض البلاجرا بين أسرى الأتراك في المعادي ولا يوجد البلاجرا في بلادهم الأصلية . وانتهى الباحثون إلى أن السبب في تفشي المرض هو عدوى الأنكلستوما التي انتشرت بين الأسرى . وقد وصل بعض الباحثين المصريين إلى أن البلاجرا في مديرية البحيرة سببها العدوى بالبلهارسيا المعوية . ولكن المتفق عليه الآن هو أن الطفيليات تسلب الناس غذاءهم أو تعطل امتصاص الغذاء من الأمعاء فتسبب البلاجرا . فليست العبرة بكمية الغذاء التي يتناولها الشخص بل بكمية الغذاء التي تمتص نهائياً من أمعائه ويستعملها جسمه . ولا شك في أن أهالي المديريات الجنوبية يستفيدون الفائدة التامة من كل ما يأكلونه ، وعلى تفاهة غذائهم فهو كاف لاحتفاظهم بحيويتهم كاملة ؛ بينما سكان الوجه البحري تسلب الطفيليات معظم غذائهم على كثرته فتظهر عليهم علامات وأعراض نقص التغذية

وللتغلب على هذه الحالة لنا أن نختار بين طريقين :

فما أن نرفع في غذاء الأفراد وتلاميذ المدارس حتى يمكننا أن نسد حاجة الطفيليات ويبقى ما يكفي لجسم الشخص، أو أن نطرد الطفيليات ونعمل على عدم الإصابة مستقبلاً فيكفيهم غذاؤهم الحالي.

وقد اتجه الرأي إلى العلاج الأول لأنه لم ينتبه الكثيرون إلى السبب الحقيقي في نقص التغذية، وقامت تلك الحركة الكبيرة وجمع المال لإعطاء أطفال المدارس غذاء إضافيا. ولم تلبث تلك الحركة أن خمدت ويكاد أن لا يكون لها أثر الآن، بل إننا نسمع أن الظروف الاقتصادية قد قضت بتخفيض كمية الغذاء التي يتناولها الطلبة. ولا شك أن هذا العلاج ليس بالأفضل؛ فلو عالجنا هؤلاء الأطفال من هذه الديدان — وهذا سهل ميسور — لأصبحنا كما يقال عصفورين بحجر واحد، فشفيناهم من الأمراض التي تنشأ من عدوى الطفيليات، وهي مهمة خصوصاً في شأن التعليم كالتأخر في نمو الجسم وبلادة التفكير وقلة الانتباه وكثرة النسيان والأنيميا! وهذه كلها لها أثر لا يستهان به في هبوط مستوى التعليم، ويكون نتيجة التخلص من الطفيليات أن يصبح الغذاء الحالي كافياً في أكثر الحالات.

وفحص الفرد لعدوى الطفيليات وعلاجه منها أمر سهل ميسور، فمستشفيات البلهارسيا والانكلستوما المنتشرة في طول البلاد وعرضها تعمل ذلك بدون أجر، ثم فحص البول والبراز ميكروسكوبيا في أي معمل للتحاليل كفيل بمعرفة ما هناك من الديدان الطفيلية. ويحسن بوزارة المعارف أن تعمم نظام فحص التلاميذ جميعاً للوقوف على ما بهم من عدوى الطفيليات وعلاجهم منها. وسترى إن فعلت أن ما سينتج ذلك من رفع مستوى التعليم يعوضها أضعافاً لما أنفقته في سبيل الفحص والعلاج. فقد حدث أن بعض الأطباء زار مدرسة في مكان ما في كينيا، وفحص جميع التلاميذ للطفيليات وعالج المصابين منهم، وكان يشرف على المدرسة جماعة من الإرساليات الدينية، فلاحظوا أن أكثر التلاميذ الكسالى والتلاميذ الشاغبين والذين يكثر سقوطهم في الامتحان مصابون بالانكلستوما، وقد تحسنت حالتهم بعد العلاج بشكل ظاهر، فاستمروا بخطة علاج جميع الراسبين بعد كل امتحان بدون فحصهم طبياً لتعذر ذلك في مكانهم النائي، وكانت النتائج طيبة جداً في إصلاح حال التلاميذ.

فيجدر بكل والد أن يعمل على فحص أبنائه دورياً لعدوى الطفيليات وعلاجهم منها، خصوصاً إن شاهد على أحدهم سرعة نسيان ما يحفظه من الدروس أو عدم القدرة على المذاكرة طويلاً، أو إذا شاهد المعلم عدم قدرته على الانتباه والالتفات طول وقت الدرس، فقد يكون الفحص والعلاج العاجل في ذلك الوقت له أثره النافع في تحسين [illegible] حالة الطفل، وتحويله من فاشل محقق إلى ناجح.

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك عن سنة أشهر:
٣٠ في مصر والسودان
٢٥ لطلبة ومعلمي الإلزام
١٠ في البلاد العربية بخلاف أجرة البريد
٤٠ في البلاد الخارجية عن أجرة البريد

ثمن العدد ٢ مليم

نظرات في الأدب الغربي :

القصة

للمرحوم الأستاذ فخري أبو السعود

يبدو لأول وهلة أن القصص أحدث ضروب الأدب ، ولكن الواقع أن الحديث هو هذه الصورة التي يبدو فيها اليوم . أما القصص نفسه فهو أقدم أشكال الأدب ؛ فإن حب الحكاية من أعرق الميول في نفس الإنسان أصلا ، والجماعات البدائية تتداول شتى القصص والأخبار والأساطير عن تاريخها وأبطالها ، وعن مظاهر الطبيعة المحيطة بها قبل أن تعرف الشعر والأدب الراقي ، وحين تترقى الجماعة ويترقى الشعر [illegible] القصص في شعرها دخولا [illegible] والدرامات ، كملاحم اليونان الأ[illegible] يدور موضوع كثير منها حول حروب طروادة وحروب فارس .

عرف اليونان الملاحم والدرامات ، وعنهم أخذها الرومان ، وعن هؤلاء وأولئك أخذ الأوربيون هذه الأشكال الأدبية ؛ فكان ممن عالج الدرامة في عصر النهضة الأوربية شعراء العصر الاليزابيثي في انجلترا ، وكان ممن عالج الملحمة وأشعار المخاطرات وقصصها أريوستو وتاسو الإيطاليان ، وسبنسر وملتون الانجليزيان ، وسرفانتيس الأسباني صاحب قصة دون كيشوت ، وبلغ من رواج هذه القصة الأخيرة أن صنعت في أوربا كلها مثالا يحتذى ، وظلت قصة المخاطرات هي النوع الرئيسي للقصص إلى القرن السابع عشر .

وكانت أكثر قصص المخاطرات تصور أعمال أبطال متحلين بكل فضيلة من الشجاعة إلى الصلاح إلى العفة ، فضلا عن القوة والجمال ، يأخذون على عواتقهم مهمات خطرة صعبة المنال ، وتكلل مجهوداتهم بالظفر ببطلة القصة التي تتحلى هي أيضا بالمثل العليا من الفضائل والصفات ؛ وكانت هناك بجانب هذه القصة قصة الأفاق الشاطر الذي يحمل رأسه على كفه ، ويكتسب قوته بالضرب في الأرض ، لا رأس مال له إلا مهارته وحيلته وخدعته والسيف والحصان .

نفقت تلك القصص في ذلك العصر لأنها كانت تلائم نفسية أهله وتعكس صورة ذلك المجتمع وتردد أصداءه . كانت الملكية المطلقة تسود أوربا إلى ذلك العهد ، وكان الأشراف لا يزالون محتفظين بالكثير من امتيازاتهم ، وكانت [illegible] لا تزال تشقى وتعمل ، وكانت الحروب لا [illegible] بين الدول والملوك والأمراء والمذاهب الدينية [illegible] الأمن لم يتوطد بعد ، والمجتمع الحديث لم [illegible] كانت تلك القصص تعنى بأعمال [illegible] الأشراف ، وحتى الأفاقين وقطاع الطريق ، وتهمل عامة الشعب الذي لم تكن لهم باع ولا يد في عمل ذي بال ؛ وكانت تلك القصص التي تردد أصداء ذلك المجتمع تزخر بأنباء الحروب والمبارزات وصفات القدماء ؛ ولأن الفكر الأوربي كان لا يزال في نشوئه ونهوضه ، كانت تكسو تلك القصص مسحة من الغرارة والبساطة ، فتعنى بالفضائل المطلقة ، وتترنم بتغلب الفارس الفاضل دائما على الفارس الشرير ، كما كانت تعج بآثار السحر والخرافة .

فلما توطد المجتمع الأوربي في فرنسا وانجلترا وغيرهما في القرن السابع عشر تحت حكم الفاتحين من البوربون والتيودور ، وخفت الحروب الدينية التي زعزعت جوانب المجتمع وعرقلت تقدم النهضة زمنا ، ظهرت طبقة من الشعب متوسطة عرفت أخيرا بالبورجوازية ، كانت

ثروتها ومكانتها من التجارة والصناعة وغيرها من الأعمال التي تتعلق بتوطد السلم ، وانتشر التثقف والتأدب بين هذه الطبقة وذاع حب الأدب بينها ، ولم يعد وقفاً على فئة قليلة من الأشراف ؛ وبتوطد المجتمع على هذا النحو اتخذت القصة سمتها « الاجتماعية » الحديثة التي اطرد وضوحها على مر الزمن ، فنبذت المغامرات في البقاع المجهولة والتفتت إلى الأعمال العادية في الحياة اليومية المألوفة ؛ وبدلاً من التغني بالخير المطلق والفضيلة الفائقة وتصوير الشر المطلق والرذيلة المجسمة ، انصرفت القصة إلى تحليل النفس وتبيين خيرها وشرها وتقرير حدود تفاعلها مما يجرى عليه .

فأهم ميزات القصة الحديثة التي ازدهرت في الآداب الأوروبية منذ القرن الثامن عشر إلى اليوم أنها اجتماعية تجول في المجتمع الحاضر وتحلله تحليلاً واقعياً ، وتصور أفراده وتحلل نفوسهم تحليلاً دقيقاً ، ولئن لبثت بعض قصص المغامرات لم تندثر ولم يهجرها الجمهور القارئ هجراً كلياً ، ولكن القراء إنما يلجأون إلى قصص أمثال والترسكوت وستيفنسون ودوماس أحياناً طلباً للتسلية والتغيير والفرار من الحاضر الواقع إذا ثقلت وطأته على النفوس ؛ ولكن أهم ميزات القصة الحديثة كما نقول أنها قصة اجتماعية ، بينما كانت القصة القديمة قصة بطولة ؛ والقصة الحديثة واقعية علمية تحليلية ، والقصة القديمة كانت خيالية سماعية مملوءة بالخوارق والمفارقات والمصادفات غير المحتملة .

وكانت فرنسا في القرن السابع عشر والذي يليه تقود القارة الأوروبية في الحضارة والثقافة ، فكانت القصة بمظاهرها الحديثة أسبق ظهوراً فيها ، وكانت كتابات مدام لافاييت الحجر الأساسي في صرح القصة الفرنسية الحديثة ، وممن عالج القصة بعدها ماريفو الذي كان له أثر عظيم على ريتشاردسون المعدود مؤسس صرح القصة الإنجليزية في القرن الثامن عشر ، كما عالج القصة الطويلة والقصيرة في فرنسا في ذلك القرن كاتبا الطليعة روسو وفولتير .
وما انتصف القرن التاسع عشر حتى زخرت بحور القصة في انجلترا وفرنسا ، وتأسيهما الشعوب الأخرى ، حتى ظهرت القصة الروسية على أيدي جوجول وترجنيف وتولستوي وغيرهم من أقطاب القصة الروسية التي بهرت أوربا الغربية .

وإنما توطدت القصة في الأدب الأوروبي ، ونحت هذا النحو وراجت كل هذا الرواج للظروف الاجتماعية المساعدة لانتشارها ، وأهم هذه الظروف انتشار الديمقراطية ، فالقصة صورة من الأدب ديمقراطية ، على حين أن الشعر والدراما صورتان من الأدب أرستقراطيتان ، إما لأن الاستمتاع بهما يستلزم ثقافة لا تتوفر للفرد العادي ، ولا يسيغهما جمهور الناس ، وإما لأن حضور الروايات الممثلة في غير مقدور الفرد العادي الفقير وقد يصعب على أفراد كثيرين أن يحصلوا الفرجة في أثنائها [illegible] إلى إدخال الجمهور المسرح عاماً .

[illegible] في العصر كما تقدم القول ، ظهور [illegible] قراءة تلك القصة ، والتي تدرس القصة أحوالها العامية بدل التوفر على وصف مغامرات الفرسان والأبطال ؛ وانتشر نحو الديمقراطية انتشار التعليم بين مختلف طبقات الشعب ، فاستطاع الكثيرون مطالعة القصة . وكان الأميون في العهد القديم يروون ظمأهم إلى الحكاية بتداول القصص والأسمار شفاهاً ، فلما تعلموا القراءة آثروا القصص المكتوبة التي هي مادة أمرع تأثيراً ، وإذ كثر الجمهور القارئ للقصة كثرت القصص حتى طغت على ما عداها من ضروب الآداب .

ثم كان التقدم العلمي الذي تحقق في القرن التاسع عشر مساعداً أيضاً على رقي القصة وأرقى مراحلها ؛ فإن القصصيين تبعاً للنزعة العلمية التي سادت العصر الحديث انصرفوا إلى الدقة في الأوصاف والتحليلات والتزموا الواقع وصوروا الحقيقة عارية ، والقصة ولا شك أرحب

صدراً لهذه الزعامة الأدبية من الشعر أو المقامة ، لأن القصة تتسع لمثل الأوصاف والتفصيلات التي لا يتسع لها الشعر الذي هو بطبيعته أميل إلى الخيالي والعبارة الموجزة والتعبير المركز اللامع ، واتسعت القصة الحديثة لدقائق المجتمع من الأوصاف الدقيقة وحياة المجتمع ودخائل النفس .

وانتشار التعليم العام كان له أعظم الأثر في حياة المرأة ، فبعد أن كانت في العصر القديم — باستثناء بعض نساء الطبقة الأرستقراطية — معزولة عن الأدب والعلم أغلقت عليهما معاً ؛ والقصة ولا شك أليق بطبيعة المرأة المتأدبة من الشعر أو غيره ، فمن طبيعتها أنها تميل إلى قراءتها نظراً لسعة القصة الاجتماعية بالقياس إلى الشعر ، ومن طبيعتها أقدر على التأليف فيها لما في القصة من دقة وتفصيل تنزع إليهما المرأة ، فضلاً عما تعرف من النظرات الثاقبة والأخيلة الجامحة ؛ ومن ثم راجت القصة بين النساء المثقفات رواجاً عظيماً ، ونبغت كثيرات منهن في كتابتها [illegible] جين أوستن وشارلوت برونتي والكاتبة [illegible] وغيرهن ، وفي فرنسا جورج صاند و[illegible] .

وصحب عهد الديمقراطية الحديثة أيضاً اتجاه الأدب كله اتجاهاً اجتماعياً وسياسياً ونزوعه إلى المشاركة في حكم الدولة وإصلاح أحوال الشعب ، فوجد الأدباء الراغبون في الإصلاح وقيادة الفكر في بلادهم أن القصة سلاح لهذه الأغراض ماض ؛ ففي القصة يستطيع الكاتب أن يصور الحالة التي ينشد إصلاحها أدق تصوير حتى يجسم للقراء عيوبها ومساوئها ، وفيها يستطيع أن يصور العلاج ويوازن بين الصالح والفاسد ؛ ففي انجلترا اتخذ ديكنز القصة وسيلة لإصلاح أحوال العمال كما عمل قصصيو الروس على عرض ما كانت تعيش به أحوال بلادهم الاجتماعية من [illegible] ومفاسد ومظالم ، وتعرضوا في سبيل ذلك للنفي والاضطهاد ، كما كان للقصصيين الأسبان أثر بعيد في الحركات التي توالت على أسبانيا في العهد الأخير .

فالظروف الصالحة لظهور القصة هي التي عملت على نموها هذا النمو السريع حتى كادت تستأثر من دون أشكال الأدب الأخرى بمواهب المؤلفين واهتمام القارئين ، كما ساعد على نموها أيضاً ما لها من مزايا خاصة منها رحابة الصدر للدقة والتفصيل كما تقدم القول ، ومنها تمكينها من عرض صور المجتمع والنفس الإنسانية بصورة يصعب على الشعر عرضها في ذلك الوضوح والجلاء ، واتساعها لدقائق الحوار بجانب متع الوصف ؛ فالكاتب القصصي القدير إذا التفت إلى الوصف أمتعك بما يمتعك به الشاعر الفنان وبشعره ، وإذا اتجه إلى الحوار أطربك بما يطربك به الممثل القدير ؛ ثم إن القصة الفرنسية تتذوق من الأدب وتصف من المواقف ما لا تقبل الرواية التمثيلية بعضه .

هذه بعض مزايا القصة من جانب القارئ . أما من جانب المؤلف فإن في [illegible] موضوعها وتأليف حوادثها [illegible] شخصيات القصص كبيرة ، وكل ذلك يحتاج إلى [illegible] خبرة ناضجة ومقدرة فائقة ، كما أن القصة [illegible] فيبث فيه تجاربه في شتى المواقف وعلى لسان شتى الشخصيات التي يخلقها ، ويتسع لبعض ذكرياته التي يحملها من عهد طفولته ، بما فيها من أشباح الرجال والنساء الذين مثلوا قصة الحياة على مسرح طفولته ، وهو يتشهدها بعينيه الصغيرتين الحائرتين . والحق أن كل القصصيين عرضوا شخصياتهم في قصصهم على صور شتى ، وسجلوا ذكريات طفولتهم في مواضع متعددة .

وكان طبيعياً إذا ارتقت القصة كل هذا الرقي وشغلت من نفوس الكتاب والقراء هذه المكانة ، أن تتعدد فروعها وأشكالها ، فنشأت القصة الإصلاحية والقصة النفسية التحليلية والقصة الدينية ، وقصص الرحلات إلى الشرق والغرب والحياة في المستعمرات ، وقصص الرياضة البدنية وقصص الأطفال والمراهقين . ومن القصصيين من كتب في الكثير من هذه الأنواع ، ومنهم من توفر على ضرب

خاص ، ومن القصصيين من قام بالرحلات إلى قصد ليجمع الطريف من الموضوعات والمناظر لقصصه ، ومنهم من عاشر العمال زماناً حين أراد الكتابة عنهم.

وظهور القصة وازدهارها في العصر الحديث جعل المواصلات الراقية والاتصال الفكري والتجاري الدائم بين أمم أوربا ، تأثرت قصة كل شعب أوربي بقصة الشعوب الأخرى ؛ تأثر الإنجليز بالفرنسيين ، وتأثر القصصيون الفرنسيون ببعض قصصيي إنجلترا كوالتر سكوت وديكنز ، وتأثر الروس بالقصة الفرنسية والإنجليزية زمناً حتى صبغ قصصهم بصبغته القومية ، فصار يؤثر في القصص الأوربي كله أبلغ الأثر ، بيد أن القصة الإنجليزية تمتاز في العموم بأنها أكثر اجتماعية من القصة الفرنسية ؛ فالإنجليز شعب يؤمن بالعمل الجمهوري ، ويُعنى بالمجموع أكثر مما يعنى بالفرد من اهتمام ؛ ومن ثم نصرف القصة الإنجليزية إلى تصوير أحوال [illegible] القصصيين الإنجليز شاركوا في [illegible] مشاركة فعالة.

أما القصة الفرنسية فلم تشارك في ذلك كثيراً ، وسمتها الشهيرة الفردية ، ونزعتها تتجه إلى التحليل السيكولوجي للفرد ، كما أن نزعة الحرية الخلقية أبين فيها ، وفيها من تصوير المفاسد الخلقية ، والحياة الزوجية التاعسة والخيانة والتقلب وغير ذلك مما تتحرج منه القصة الإنجليزية في جملتها ، لميل الإنجليز إلى المحافظة على التقاليد الظاهرية وموجبات اللياقة. أما القصة الروسية فتجمع بين نزعة القصة الفرنسية السيكولوجية ، وبين صبغة القصة الإنجليزية الاجتماعية ، وتضم إلى هذه وتلك واقعية صارمة وبساطة في التأليف وبعداً عن الصناعة الشكلية وجواً عابساً داجناً يعكس الأحوال السيئة التي كانت ترزح تحتها روسيا في القرن الماضي.

زاحمت القصة الشعر في عالم الأدب ، وغلبها كثير من الشعراء كوالتر سكوت ، وأميلي برونتي وميريديث وهاردي في الإنجليزية ، ولامرتين وهوجو في الفرنسية وبوشكين وليرمونتوف في الروسية ؛ وصحب نهوض القصة في العصر الحديث هبوط الشعر حتى اعتقد كثير من النقاد أن عصر الشعر قد مضى ، وأنه لم يعد يلائم المجتمع الجديد ؛ وهو وهم لا يجيزه النظر في تاريخ الآداب ، ولا النظر في تاريخ القصة ذاتها ومكانتها ووظيفتها ؛ فالعصر الحديث ليس أول عهد ركد فيه الشعر ثم صحا من ركوده صحواً رائعاً ؛ فقد ركد في القرن الثامن عشر ، ثم نهض نهضة رائعة على أيدي الرومانتيكيين ؛ وكما أن الشاعر الفرد يخصب زمناً ، وتغيض ينابيع شاعريته حيناً ثم تعود أقوى وأغزر مما كانت ، فكذلك المجتمع كله تجيش شاعريته حيناً فتنبسط ، وتغيض حيناً وتنقبض .

[illegible] القصة في عظم شأنها لا تغني عن الشعر ولا تؤدي [illegible] في القديم ، من الإفصاح عن نوازع النفس [illegible] الخاصة على تغير الأحوال الاجتماعية [illegible] راجت القصة في هذا العصر الحديث كما [illegible] الجمهور القارئ ممن نالوا حظاً من التعليم يؤهلهم للقراءة دون أن ينالوا حظاً من التثقيف يمكنهم من تقدير الفنون العليا والآراء الراجحة والنظرات النافذة ، وإنما يجدون غذاء عقولهم في القصص السهلة التناول ، القريبة الغور ؛ والسواد الأعظم من قراء القصة هم من هذا الفريق ، والقصص السامية القوية العاطفة العميقة الفكرة الرفيعة الأسلوب كاسدة لدى هؤلاء كساد الشعر تماماً ، فإن قرأوها فإنما يقرأونها لحوادثها السطحية ولا يفطنون إلى ما وراءها من الحقائق ، وما في أطوائها من التحليلات ويمرون بما يتخللها من وصف وتحليل مر الكرام ، ويتجاوزون ذلك إلى ما هنالك من رائع حادثة أو واقعة غرام.

فالقصة ضرب من الأدب حديث عظيم القيمة تمتاز به

٢ – شاعر عباس باشا الأول

الشيخ محمد شهاب الدين

للأستاذ محمد عبد الغني حسن

كان العصر الذى نشأ فيه الشيخ محمد شهاب الدين عصر صناعات لفظية ومحسنات بديعية . وهو أثر من آثار عصر الأتراك الذى اتجه فيه الشعر إلى هذا النوع من الكلام اتجاهاً نقص من قيمته وحطّ من شأنه ، وجعله مجرد ألفاظ مرصوفة ، وجمل مصفوفة ، لا عناية فيها بمعنى جليل ، أو تفكير سليم ، أو حس دقيق .

وكان من الطبيعى أن يجول الشيخ محمد شهاب فى هذا الميدان ويصول ، ما دامت الأذواق لا تزال على حظها من ولوع بالزخرف من الكلام ، والوشى من القول ، ولهذا نرى ديوان هذا الشاعر زاخراً بنماذج لا حصر لها من هذه المحسنات البديعية ، فهو يتكلفها تكلفاً ويتصيدها تصيداً ، ويحتال فى الوصول إليها بكل حيلة ممكنة .

ومن الظاهرة الغريبة فى شعره أنه اتخذ من اسمه « شهاب » آلة ميسورة لاصطناع الكناية الرقيقة ، أو التورية الخفية ، أو الجناس الذى يحلو حيناً ويسمج أحياناً .

فهو يقول فى صفحة ٣٩ من ديوانه الذى لم يطبع غير مرة واحدة ، مادحاً الخديو عباس باشا الأول ، قبل توليه أريكة الحكم :

هاك من خريدة بنت فكر   ما اقترنها بعد الثنا عباس
لو أتاها الشيطان يسترق السمـ   ـع رماه (شهابها) بانتكاس

فهو هنا يحشر الشيطان حشراً فى القصيدة لكى ينقض عليه (شهاباً) ، مشيراً بذلك إلى قوله تعالى فى سورة الجن : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » .

وقد تكون هذه التورية مستملحة ومقبولة ، لو أن الشاعر لم يكثر استعمالها ، ويطل إدارة المديح عليها ، فقد أنهكها بذلك ، حتى كادت تكون ممجوجة فى الأذن ، مرددة ثقيلة على السمع . فهو يقول مادحاً ومهنئاً أدهم باشا مدير ديوان المدارس بمناسبة عودته من أوربا :

هاك منى وصيفة بنت فكر   مثلها خادم ومثلك يخدم
حرست فى سماء حسن علاها   (بشهاب) به الشياطين ترجم

ويقول فى مدح الشيخ أحمد الصائم شيخ الجامع الأزهر ، وتهنئته بالسلامة من مرض اعتراه :

هذا (شهابك) بالمرصاد يقذف من   يستمعون ويرديهم قوافيه

ويقول مورياً أيضاً باسمه شهاب :

الآداب الأوربية الحديثة عن الآداب القديمة جميعاً ، ويناسب المجتمع المصرى كثيراً ؛ ولكن القصة لا تحل محل الشعر ولا تقضى عليه ، وليس ركود الشعر فى العصر الحديث راجعاً إلى مزاحمة القصة إياه ؛ فالقصة والشعر ضربان من الأدب لكل منهما مزاياه ومناحيه الخاصة به ، يتجاوران ولا يتضاربان ، كما تتجاور شتى ضروب الأدب الأخرى ، وسيأتى الوقت الذى تفقد فيه القصة هذه الصدارة التى تتمتع بها فى الوقت الحاضر ، وتظل ضرباً عذباً من ضروب الأدب ، وإن ظلت لها دائماً مكانتها المحدودة ومزاياها الخاصة .

فخرى أبو السعود

إن بين الشهاب والبدر بوناً

هل تساوى فرع وأصل أصيل !

* * *

أما « الجناس » — وهو اتفاق الكلمتين فى اللفظ مع اختلافهما فى المعنى — فشائع فى شعر « الشهاب » . ولا شك أنه كان يتعمله تعملاً كما اقتضته طبيعة عصره ، وذوق أهله . فالشاعر فى زمانهم كان يقاس ويوزن بما حوت قصائده من هذه الصناعات الكلامية التى لا تعدل شيئاً فى زماننا . وأغلب (جناسه) كان فى مفتتح قصائده وفى أبياته ومقطعاته . ولو أحصينا نحصى عليه ما استعمل من أنواع الجناس لخرج بنا القول عن المقام فنكتفى بإيراد بعض الأمثلة للدلالة على ما نقول .

فهو يخاطب عباس باشا الأول ويمدحه ويهنئه بقصيدة مطلعها :

أكئوس تجلى منك (الدوالى)

أم شمس الرشف فيه (الدوالى)

ويلاحظ الجناس بين الدوالى الأولى وهى جمع دالية ، والدوالى الثانية وهى مركبة من كلمتين (الدوا) وأصلها الدواء ، ومن حرف الجر مع ياء المتكلم (لى) .

ويقول « محنساً » أيضاً فى مطلع قصيدة يهنئ بها « عباساً » بعودته من الآستانة :

شرح الصدور قدوم أعدل (وال)

نادى منادى الأنس صاح (ووال)

ويقول فى مطلع قصيدة يهنئ بها سعيد بسلامته من الهواء الأصفر :

تاب الزمان وقال إلى (ندم)

فادعوا الندامى والمدام (وانعموا)

ويقول فى مطلع أبيات يهنئ بها سعيد بولده محمد الصديق :

جاء الزمان وأبدى ليلة (القدر)

بوضع نجل جليل الشأن (والقدر)

وهكذا نرى الشاعر المولع باستعمال الجناس واصطياد الألفاظ التى تؤدى ما ذهب إليه وقصد له . وقد يكرر الجناس فى قصائده أكثر من مرة ، فتراه فى هذه القصيدة أو فى تلك ، وتمضى حتى تقرؤه بسماجة النغمة المكرورة ، وثقل الكلام المردود . وأحسن مثال على ذلك جناس (الدوالى) ! ! فقد أعاده فى قصيدته التى يهنئ بها (عباساً) بقدوم الأمير شقيقه من الآستانة حيث يقول :

صاح حيا بكأس بنت (الدوالى)

واسقنيها فأنت فيها (الدوا لى)

على أن بعض هذه (الجناسات) والتوريات كان يختص بمطالع قصائده ، ويظهر فى أثناء القصيدة ، وفى وسط الشعر ، كقوله فى مدح مصطفى باشا عبد الباقى باشا الذى كان فى بعض الحين أميناً لخزانة الخديو :

[illegible] فى حمى عطفك يهوى

والتورية فى كلمة السائل ظاهرة واضحة ، وفيها إشارة إلى قوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » .

وأغرب من ذلك كله هو إغراق هذا الشاعر فى استعمال مصطلحات العلوم وخاصة علم النحو والصرف . فهو يذكر « الحال » مورياً بين الحال بمعنى الشأن والحال التى هى من منصوبات الأسماء فى علم النحو . ويذكر الضمير (ويورى) بين الضمير (الإنسانى) والضمير (النحوى) . ويذكر (الأمر) و (النهى) ويقصد التورية بمدلولهما فى علم النحو .

اسمعه يقول فى مدح مصطفى بك مختار مدير المدارس :

رأيت « حالاً » « مضى » « قدراً »

« أبرز » فى « شأنه » « الضمير »

فكل كلمة فى هذا البيت تحمل معنى تورية نحوية

من حال إلى حال ناظراً إلى إبراز الضمير إلى ضمير الشأن

واسمعه يقول مادحاً سامى باشا ناظر الوقائع :

هو الفلك المحيط بكل معنى وفياض الفضائل فى الأنام
(بيان) على (معانيه) (بديع) وسحر حديثه حكم الكلام

فهو يورى هنا بعلم البيان والمعانى والبديع فى شطر واحد .

واسمعه يقول مادحاً حسن باشا محافظ المحروسة ومورياً فى الحقيقة والمجاز من علم البيان :

ما لأياديه فى (الحقيقة) شبه
إذ (مجاز) النوال فيها (مرسل)

فاستعمل هنا كلمات الحقيقة والمجاز والمرسل ، وهى من اصطلاحات علماء البيان

ويقول فى القصيدة نفسها مشيراً إلى علم العروض :

علل العرف فى الضرورة تملى
كيف طول المديح للحمد يطوى

ويورى فى قصيدته لإبراهيم بك [illegible] الدارس بعض مصطلح الحديث فيقول :

إن عن دعوى الهوى والحب لى صحيح قويه
(وحديث) أشواقى إليـك (مسلسل) بالأوليه

* * *

وكان الشهاب أولع فيما أولع به من الصنعات الكلامية بالكنايات الكثيرة ؛ فهو لا يدعو القمر قمراً ، ولكن يسميه « خليل الشمس » ، ولا يسمى الخمر خمراً ولكن يدعوها « ابنة الكرم » ، ولا يسمى قصائده قصائد ولكن يدعوها « وصائف » أو « أبكاراً » أو « أوانس » أو ما إلى ذلك . ولا يسمى المطر أو الماء ماء ولكن يدعوه (ابن السحاب) أو (ابن المزن) .

اسمعه يقول من قصيدة لعبد الباقى بك حازن الخزانة الخديوية :

زوجت (ابن مزنة) بنت كروم العنب

ويقول ممتدحاً السيد محمد البكرى شيخ السادة البكرية ونقيب الأشراف فى زمنه :

(بنت كرم) عذراء تشهد أنها
كشذا المسك فى مذاق العقار

ويقول فى القصيدة نفسها :

زوجوها (بابن السحاب) فجاءت
من دراري حبابها بذرارى

والمعنى لطيف فإن الخمر لما مزجت بالماء حدث من هذا المزج أو الزواج ذرية كثيرة من الحباب الذى يطفو على وجهها كالدرارى المنثورة .

ويقول فى مدح عارف بك شيخ الإسلام فى تركيا :

أرجو قبول (وصيفة) قد قلدت
علاك عقداً لم تنله وصائف

فهو هنا يكنى عن قصيدته (بالوصيفة)

ويقول فى مدح المغفور له عباس باشا الأول :

[illegible] ما افترتها يد الخطا عباس

ويكرر الشطر الأول بنفسه فى قصيدة أخرى يمدح بها الشريف « محمداً بن عون » ولا شك أن هذا التكرار فى الأشطار والألفاظ والمعانى والجناس دليل على إفلاس الشاعر وقلة بضاعته . فهو يقول للشريف :

هاك منى خريدة بنت فكر جردت فى منصة وزفاف

ويكنى من قصيدة أخرى للشريف عون بأنها « وليدة فكر » فيقول :

خذها (وليدة فكر) راق منظرها
كأن ريقتها ضرب من الضرب

ومما ذهب إليه الشيخ محمد شهاب فى شعره « استعمال التاريخ » وهى بدعة شاعت فى عصور الشعر المتأخرة ؛ وكان لها فى ذلك الزمان شأن أى شأن . وإذا راجعنا دواوين الشعراء منذ أيام محمد على باشا إلى العشر الأولى من مطلع القرن العشرين وجدناها مشحونة باستعمال

التاريخ ؛ ولم يسلم من ذلك شاعر واحد . حتى امتدت العدوى إلى شعراء في العصر الحديث معدودين من الفحول ، ونخص منهم شعراء الطليعة ؛ كالمرحوم اسماعيل باشا صبري ؛ فإن المتصفح لديوانه الذي طبع أخيراً في ثوب من العناية والرونق ، وجلى في حلة من التدقيق وحسن الذوق يرى الشاعر الكبير يستعمل التاريخ في بعض مقطعاته .

على أن هذه البدعة الشعرية قد ماتت في زماننا هذا ولم يعد يجد لها من يبكي على موتها ، أو يتطلع إلى إحيائها ؛ فقد أدرك شعراء العصر الحديث ما تقتضيه صناعة التاريخ الشعري من التكلف والعنت والضرورات التي قد تضحي باللفظ الفخم النبيل ! أو الأسلوب العالي المستوى إلى لفظ ساقط أو أسلوب مرذول لتستقيم الحسبة التي يريده .

أما الشيخ شهاب فقد ولع بالتاريخ الشعري ولعاً فائقاً ، واختص به جزءاً كبيراً من ديوانه ، يؤرخ لكل حادثة في زمانه ، أو لكل حدث من حوادث عصره بالبيتين أو الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة ، ولم يزد تاريخ من تواريخه عن ستة أبيات ، ولم يقل عن بيتين .

فهو يؤرخ لبناء القناطر الخيرية سنة ١٢٦٣ هجرية في خمسة أبيات ، ويؤرخ لتولية عارف بك مشيخة الاسلام في تركيا ببيتين ؛ ويؤرخ لقنطرة شيدها إبراهيم باشا نجل محمد علي باشا سنة ١٢٦٤ هـ ؛ ويؤرخ لستر الكعبة الشريفة سنة ١٢٤٣ هـ ، ويؤرخ لبناء قبة الامام الحسين رضي الله عنه سنة ١٢٣٩ هـ في ثلاثة أبيات ؛ ويؤرخ لوفاة الأميرة حواء هانم أخت الخديو عباس باشا الأول سنة ١٢٣٩ هـ ؛ ويؤرخ لكثير غير ذلك مما خطر أو عن من أحداث الزمان ، فيؤرخ لانشاء منظرة أو بناء حمام ، أو وضع غلام . . .

* * *

ويظهر من مطالعة ديوان الشهاب أنه كان خفيف الظل ، بارعاً في الطلب ؛ وكثيراً ما نجد من مطالبه عجائب الفكاهة ، وتحقيق الرجاء . فهو يطلب (بغلة) من الخديو عباس باشا الأول في شعر خفيف ظريف ، فتجاب طلبته . . . وكان (السمن) نادر الوجود في زمن من الأزمان ، فيكتب إلى علي بك حسيب أمين جمرك بولاق قصيدة طويلة يطلب فيها مقداراً من السمن بثمنه . ويقول فيها :

آليتُ بالسمن أو بزبدة ... لله ذر أصلها الحليب

لأعرضن الحال للفتى اللبق ... رجاء من يرجوه لا يخيب

* * *

ولقد مدح الشيخ شهاب كثيراً من أعلام عصره ، ورجالات دهره . فمدح منشئ مصر الحديثة « محمد علي باشا » وابنه إبراهيم باشا وعباس باشا الأول . ومدح أدهم باشا ومصطفى بك مختار ناظر المعارف أو مدير ديوان المدارس كما كان الاسم في ذلك الحين . ومدح الشيخ [illegible] عارف بك شيخ الاسلام بتركيا والسيد محمد البكري نقيب الأشراف والسيد محمد المروحي والشيخ حسن العطار والشيخ حسن القويسني والشيخ أحمد الصائم شيوخ الجامع الأزهر والشيخ محمد العباسي المهدي المفتي ، والشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية وغيرهم .

وكان يخاطب ممدوحيه بالكنى اللائقة لأسمائهم ؛ فتراه مثلا يخاطب عبد الرحمن بك مظهر بقوله :

فأبشر (أبا عوف) بعفو ومغفرة

وطب طرباً واشرب على رنة الزهر

وعلى الجملة فهو مثال جيد لشعراء مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، وشعره صورة صحيحة لعصره ، ومرآة صادقة لبيئته التي كانت خاتمة لفتح عصرنا الحديث

(القاهرة) محمد عبد الغني حسن

الصـــــندوق الأبنوس

للآنسة راجية فهمي

قال الكولونيل «فون التروك»: «كلا كلا، إن هذا غير صحيح!» ثم هدأ الكلام بغتة، والتفت إليه المدعوون ينتظرون تمام الحديث، غير أن الكولونيل أخذ يقلب كوب البيرة في حركة عصبية ظاهرة، ثم عاد إلى الكلام في خجل فقال: «مما لاشك فيه أن الحرب تلهم أعمالا نبيلة، وتظهر صفات عظيمة من رجال لم يكن ينتظر منهم أي شيء، ولكن من ناحية أخرى بعد أشهر من الفزع تضطرب الأعصاب ويفعل التعب والخطر فعلهما، حتى لينسى الانسان نفسه، وينحط أحيانا حتى يصل إلى الوحشية. إني أعرف هذا تمام المعرفة: مضى ثلاثون عاما على حصار باريس، والآن لا أستطيع [illegible] من حياتي شيء على ما حدث حول [illegible] سنة ١٨٧٠؛ وإذا شئتم قصصت عليكم ما حدث، غير أن حديثي ربما أخركم عن ميعاد الأوبرا».

كانت «فاوست» أوبرا ذلك المساء قد جمعها أغلب المدعوين، فأجابت مضيفته: «إن عندنا لايهم». فاستأذن الكولونيل في أن يدخن، وبدأ يقص فقال:

«كنت ضابطاً في الفرقة الخامسة، وفي شهر ديسمبر كونا جزءاً من حلقة الحصار حول باريس. وفي ليلة عيد الميلاد كنت في «نوازي لوجران» أؤدي واجبي، وفي تلك الليلة انخفضت الحرارة حتى الثامنة عشرة تحت الصفر، فخيل إلينا أن كوخنا الصغير مأوى مريح، وكنا نستعد للاحتفال بليلة العيد، وقد وصلنا في الصباح برميل من البيرة من أبي، غير أن قلدنا ما كاد يفارق شرب نخب أبي حتى سمعنا طارقاً على الباب يناديني لعمل، خرجت، ولم أجد الوقت الكافي للتحسر، وسرت متثاقلا في الظلام وأنا أسمع من الخلف قلدنا يغني».

وصلت حيث يعسكر الكولونيل فوجدته في غرفة عارية، نورها ضئيل، وهو يقرأ في قطعة ورق مبتلة، وقد انهمك في قراءتها حتى لقد مرت بضع دقائق قبل أن يراني. أعطاني رسالة مختومة أؤديها لقائد حامية رانسي، وحذرني من خطورة الطريق؛ ولكن قبل أن أخرج ناداني وأعطاني الورقة التي بيده وسألني عما أستنتج منها. [illegible] الورقة فرأيت عليها جملة واحدة فيها كثير من الغلط، وفهمت أنها رسالة من مسيو [illegible] إلى [illegible] يقول له [illegible] الكبيرة السوداء [illegible] [illegible] إلى الكولونيل وقلت: «إنها لا تعني [illegible]» وقال: «أجل، ربما لا تعني أكثر مما فيها».

غير أني ما كنت أتوغل في الطريق حتى طارت من خيالي هذه الأفكار كلها، فأمامي أخطار لا بد أن أواجهها. عبرت الوادي وسرت في الغابة حتى آخرها، وبعد ميل وصلت إلى كوخ على مفترق طريقين لم أعرف أيهما أسلك. دعيت نحو الكوخ وقرعت بابه بشدة، فلما لم يجبني أحد كسرت زجاج النافذة بقبض مسدسي وصرخت قائلا: «أهذا يوقظكم؟» وإذا بالباب يفتح وتقف أمامي امرأة قروية عجوز مقعدة من الروماتزم تحمل شمعة وتحجب ضوءها بيد ترتعش وقالت معتذرة: «إني لا أستطيع الحركة كما كنت في صباي، هل من خدمة أؤديها لسيدي؟» لم تسمعني كلمة لوم على زجاجها المكسور، غير أني قطعت عليها

اعتذاراتها وسألتها بخشونة عن الطريق .

وصلت إلى راتس وأديت الرسالة وفي العودة أصدقني القائد ببعض الطرائف . مررت وأنا أفكر لا في العجوز المريضة وزوجها المكسور ، ولكن في خسائر السيو مرتيه ! وهل إذا ضربت المدفع في شيء ، يصلي عدو الخندق الجديد فيقوى هذا من عزيمة أهل باريس فتطول مدة الحصار .

كنت أفكر حين اقف بطريق بغتة أمام قصر مضاء كله في هذا المكان القفر ، كان قصر « آل فيلا نافوار » . وكان حول باريس قصور مثل ما هو الآن ولكنها كانت مهجورة هرب سكانها . فكان منظر القصر وهو مضاء كيف يجري أمامه حياة منتظمة ؟ غير أني كنت كلما أمعنت النظر فيه ازداد تفكيري في خسائر السيو مرتيه ، وهل يكون هو حلقة الاتصال المفقودة . أمرت رفاقي بالسكون والانتظار . ثم طلبت من أحدهم أن يراقب أي منفذ على بينما أتقدم نحو السلم ، وقبل وصولي إليه فتح الباب [illegible] فتاة تحمل مصباحا . حملت المصباح عاليا [illegible] على شعرها ووجهها وملبسها . كانت فتاة طويلة نحيفة ، عيونها واسعة سوداء ، ولها وجه جميل جذاب على الضحك ، ولكنها الآن كانت شاحبة اللون مقطبة الجبين . وقفت هنيهة ثم بدأت تحرك المصباح من الشمال إلى اليمين ، وفي الفترة التي يمضي نور المصباح وجهها كنت أرى القلق مرسوما عليه . سألتها بغتة : « من تنتظرين هذه الساعة أيتها الآنسة ؟ » لم تتحرك أو تصرخ ، ولكن المصباح فقط اهتز ووقفت بضع ثوان دون حركة ، ثم أنزلت المصباح وقالت : « إنك روسي ؟ » . « أجل يا سيدتي لا أطلب شيئا » ماجابتني بهدوء : « إني غير خائفة » . ظننت أني سمعت صوت حصان يتحرك فتركت لأرى ، فقلت : « إذا لم يكن المصباح إشارة لرجل يختبئ في الغابة ؟ » نظرت إلي بدهشة ، فظننت حقا أنها تجهل الحيل ، ولكن مظهرها لم يخدعني لأني كنت رأيت على كتفيها معطفا حربيا « ستقولين أيضا إن هذا معطف سيدة » فاحمرت خجلا [illegible] حقا أنها كانت إهانة . إنه عيب دائما لشاب ألا يجامل سيدة وخاصة إذا كان هو المنتصر . ولكن سامحيني أجابتني : « هذا المعطف لضابط فرنسي مجروح أمس ثم أخرج منه بكلمة الشرف وهو الآن في منزلنا » . فقلت : « سأتشرف إذاً بمعرفته » ثم ناديت الجندي ، وما اقتربت حتى ظهر على وجهها الرعب وقالت بخوف : « إنك لن تأخذه . إنه لم يقتل أحداً حتى لو أراد ذلك . إنه لا يستطيع » غير أني لم أصغ إليها ، ولم أثق بما قالت ، بل ظننت أني قد وضعت يدي على الطريق الخاص بتسرب الأخبار حول معسكرنا .

دخلت إلى غرفة الاستقبال فرأيت فتى [illegible] على أريكة وعليه غطاء . ومن المؤكد أن وجهه كان جميلا [illegible] عندما كان معافى ، ولكنه كان [illegible] شاحب اللون . وكانت تجلس أمامه عجوز تلعب معه الشطرنج . عرفت أنه الضابط المجروح وأن السيدة هي عمة [illegible] « صوف » البارونة [illegible] . والتفت إلى « صوف » وسألتها عن سبب وجودها هنا وهرب الجيران ، فقالت : « لأن أمي مريضة لا تستطيع الحركة ونحن لا نستطيع أن نتركها » . فقلت : « سأتحقق من ذلك » فقالت : « سأقودك بنفسي » وتدخلت أخبرتها : « هذا بالضبط ما كنت أنتظر . ستأخذيني أنت لتتركي أصدقاءك يعرفون كل ورقة لها أهمية ؟ إني لا أخدع بمثل هذه السهولة » .

ناديت على الحارس وأمرته بالبحث في أنحاء المنزل . ثم التفت إلى الضابط وسألته عن سبب بقائه هنا أول ما أخرج منه ، فأدار وجهه نحو صوف وقال : « لأنه يبقى هنا أعز أصدقائي » وأخذ يدها برشاقة الرجل الفرنسي

ورفعها إلى شفتيه وقبلها ، فعرفت علامة العلاقة التي بين عشيق الشابين .

ثم رجعنا إلى اللعب كأن لم يكن بالغرفة متطفل . وشعرت بسرور عظيم حينما عاد الجندي وقال إنه لم يجد بالقصر أحداً إلا أم الدكتور إلى سوق وخادماً عجوزاً . غير أني لم أطمئن ، فبدأت بدوري أبحث في أنحاء الغرفة لعلي أجد شيئاً . ولكني لم أجد ما يثير ريبتي . كان للغرفة باب آخر فسألت عنه ، وقالت سوق إنه باب غرفة نومها ، فدخلتها حاملا الوحل والثلج إلى المخدع الجميل النظيف . بحثت في أنحاء الغرفة حتى وجدت درجاً مغلقاً فطلبت منها فتحه . وبينا هي تفعل لاحظت أنها تراقبني في حذر ، فأيقنت أنها ستحتال علي ، فالتفت وحدي فجأة ، لأنها خطفت شيئاً وجرت مسرعة نحو باب آخر ، ولكني لاحقتها وأخذت منها ما بيدها بالقوة . كانت علبة أبنوسية منقوشة ، هذا هو الشيء الذي أبحث عنه .

ثم رأيتها تأخذ سلسلة ذهبية من عنقها معلق فيها مفتاح ذهبي صغير ! ومدت يدها إلي وقالت بصوت منخفض : « افتحه هنا » . غير أن هذا التغيير الفجائي زاد شكوكي فقلت : « هذه حيلة أخرى ، ربما تريدين كسب الوقت لصديقك في الغرفة المجاورة . كلا سنعود ونفتحه بجانب المدفأة » . وجررت الصندوق فإذا هو يحتوي على ما أبحث عنه ، أوراق ! جلست قرب المدفأة ، وبينا أدخل المفتاح في القفل وضعت سوق يدها على ذراعي ، وبكل رقة قالت : « أتوسل إليك ألا تفتح الصندوق هنا . فإنك لو فعلت لنالني ذل عظيم ، وأما أنت فستندم ندماً كثيراً . لا شيء فيه يهمك . إنه يحوي أسراري الصغيرة ، أسرار كل فتاة أسرار تقدمها » . غير أني أجبتها بأن أخذت المفتاح ووضعت يدها على الغطاء وهمست : « كنت ألبس المفتاح في سلسلة حول عنقي . ألا يدلك هذا على شيء ؟ افتح الصندوق واقرأ الخطابات ، وستسبب لي بعملك هذا حياة موحشة حياة الوحدة والانفراد . إنك ستحطم كل أمل لي في السعادة . حقاً إننا أعداء ، ولكن سيأتي يوم تنتهي الحرب ، وأظنك لا ترغب في إطالة آلامها أكثر مما يحتمل ، وهذا ما ستفعله . ستأسف كثيراً حينما تكون بين أهلك وتعلم أن هناك فتاة في فرنسا تتألم بسببك . أجل ستأسف كثيراً » . تكلمت ببساطة غريبة ، واستغاثة اليائس ، ومنذ ذلك اليوم أتخيلها بكل وضوح كما كانت واقفة أمامي بالإخلاص الذي كنت لا أريد الإصغاء إليه ، والاستغاثة التي أغلقت أذني عنها . أتخيلها كثيراً حين لا أود رؤيتها طلباً لراحتي . كانت تتوسل من أجل كبريائها ، ولكنني بالنسبة لي تنازلت عن كبريائها ، ولكنها لم تنجح ولامها . ظننت أن الصندوق يحتوي خطابات حربية ، ولكني وجدت عكس ذلك ، فأول ما قرأت دعوة للعشاء ، وكان الإمضاء بالاسم « أرمان » وأظن من الأسماء المثبتة أنه قريب للعائلة وصل مؤخراً إلى فرنسي الجنسية . نظرت إلى سوق بجفاء وقلت : « كل هذه الضجة حول دعوة للعشاء إذاً ؟ هل إذا عرفت أن مسيو أرمان سيتناول معه كم العشاء سيحطم ذلك ، ويضيع فرصتك الوحيدة في السعادة ؟ » ثم قرأت الخطاب بصوت عال وتمهل . لم تجبني بل كانت تجلس ويدها تحجب وجهها وكل الألم باد عليه . أخذت الخطاب الثاني ، إنه مسيو أرمان يشكرهم على العشاء ، فقد كان لطيفاً وكان شكره عظيماً صادراً من قلب رقيق لم يشعره ضبط النفس . وجدت بعض الكلمات تتكرر بشكل واضح ، فحاولت حل رموزها ، ولكني وجدت بعض الخطأ من الوجهة الفرنسية ، فقرأت غيرها لعلي أجد ما يفيدني . وكنت أثناء ذلك أقرأ بعض الجمل بصوت مرتفع لعلي أفزع سوق فأضطرها إلى الاعتراف ، غير أن هيئتها لم

تفكير . ثم بدأت أقارن بين الخطابات ، فكلها بنفس الخط والامضاء « أرمان » وهى تعطى صورة الفتى عاش فى باريس السنتين السابقتين للحرب ، وتعد سجلاً للحوادث من زيارة المتاحف ودور التمثيل إلى الاجتماعات والجوائز والسابقات . إذا كان لهذه الجمل معنى فقد خص خياله من اكتشاف ، ولكن كيف لم تر خطاباً منها فى باريس ؟ وبدأت أشك فى تقديرى ، فقرأت غيرها ثم رجعت ثانية إلى الأولى وقارنت بعضها بالبعض ، فبدأت أخاف من أن تكون هذه الخطابات حقيقية . ولاحظت الأسلوب يتغير بكل بطء ولكن بوضوح ، وبدأت أشهد تقدم مسيو أرمان من فتى ريفى إلى مدنى يفقد شيئاً فشيئاً الارتباك ويصقل برقة باريس . فالشكر لا ينتهى ولا هو يمتلئ بإعجاب فى رشاقة السيدات . وبالاختصار لقد ملك مسيو أرمان زمام نفسه . إنها خطابات حقيقية ، ولكنها لم تكن غرامية . نظرت إلى صوق متعجباً ! أهذا الذى اقتضى الصندوق ؟ إن الخطابات تسجل بدء معرفة ، ثم نمواً مطرداً للصداقة بين فتى وفتاة ، لا شيء غير ذلك . ربما كانت تنتهى بالزواج ، ولكن لم يكن هناك أى إشارة إلى هذا . كنت لا أزال متحيراً بينما رفع الضابط نفسه من المتكأ ومشى إلى صوق ، وكان يتوكأ والألم ظاهر على وجهه ، فلم أشك فى صحة جرحه ، لقد كان حقيقياً كالخطابات ، انحنى على صوق وبكل رقة رفع يديها عن وجهها وقال : « صوق ، لم أعرف أن أفكر فى أنك احتفظت لى بهذه المكانة من نفسك ، وكنت أقول من زمن ما أقوله الآن . إنى أرجو إذنك بالتقدم إلى مدام فيلانابو لأطلب يدك للزواج !! » فى ثانية واحدة انهار بيتى الزجاجى . كان الضابط مسيو أرمان . لقد احتفظت بكل ما كتب أرمان كعادة السيدات ، ولكن دون علمه . كان يجب ألا يعرف ، فكبرياؤها تمنعها من إظهار هذا السر ، لأنها كانت هى العاشقة . أما هو فلم يكن إلا الصديق ، حتى الكلمة التى ألقاها كانت تحوى كثيراً من الرحمات وقليلاً من الحرارة ، ففهمت جيداً كيف أنى أذللتها كثيراً . وتعجب مسيو أرمان ورفعت رأسها ببطء وقالت : « إنك تريد أن تزيل عنى الخجل . إنى أفكرك كثيراً ، ولكنك قلت ما قلت بسبب هذه الخطابات » فقال لها : « كلا ! » ولكنها أجابت بحزم : « لو أن هذا السيد لم يفتح الصندوق فربما كنت تقول ما قلت الآن ، وعندئذ أكون ملك السعادة الحقة . أما الآن فسأشعر دائماً أن الخطابات هى الحافزة لك على ما قلت » ثم انحنى لها مسيو أرمان .

لقد أضعت عليها فرصة السعادة . إن الصداقة التى بينهما ربما انتهت بالزواج لو تركت لنفسها ، ولكنى لم أتركها . قلت لها : « سيدتى إنى آسف » التفتت إلى وقالت : « يا مسيو ، لقد عرفتك لقد ضاع الآن وقت الندم » وبينما أنا واقف لا أعرف ماذا أفعل قالت بكل رقة : « ألا تذهب يا سيدى ؟! » .

خرجت من الغرفة ومشيت فى الظلام مع الحراس ، ولكنى لم أفكر فى أى خطر يقابلنى ، فالندم قد تملكنى . لقد سلكت مسلكاً ليس فيه بطولة ولا شرف ، بل ولا أى خلق كريم . لم أستطع أن أعرف الصدق حينما صرح فى وجهى ، ولا الأمانة حينما تراءت لى من عينى الفتاة السوداوين . إنى أفكر بأمل حائر : هل كان الزمن بعد ذلك كفيلاً بإصلاح ما أفسدت ؟ وحتى لو عرفت فماذا أذكر وأنا فى غمرة الندم ليلة العيد هذه

ترك الكولونيل بقية السيجارة يقع من يده وقال وهو ينظر فى الساعة :

« أرى أننا تأخرنا عن ميعاد الأوبرا » .

راجية قريصى

حظ الأمم من فصائل الدم

[تكلمنا في العدد السابق عن فصائل الدم المختلفة وأشرنا في آخر المقال إلى الاختلافات الطريفة الخاصة بتوزيع هذه الفصائل في مختلف الأمم ، ووعدنا أن نتابع الموضوع لنشر شيء من هذه البحوث وتلك الإحصائيات ولا سيما المصرية منها . وقد تفضل علينا حضرة الدكتور يوسف محمود الطبيب الشرعي في معامل مستشفى الجيش المصري بكثير من المعلومات استقينا منها ما سنورده للقراء في هذا المقال فله منا جزيل الشكر] (المحرر)

بعد أن اكتشف اختلاف الأفراد من حيث الفصيلة التي ينتمي إليها دم كل منهم ، اتجه الباحثون إلى معرفة مقدار توزيع هذه الفصائل المختلفة في كل أمة من الأمم وساعد على ذلك ما نبه إليه العلماء من أهمية هذه المباحث من ناحية إسعاف جرحى الحرب بنقل الدم إليهم لتعويض ما فقدوه أثناء النزف . ولما كان من الضروري إجراء هذه العملية بأسرع ما يمكن ، فقد رؤي أن مما يهون على الطبيب مهمته ويعينه على سرعة الإسعاف ، أن يكون الجندي أو الضابط قد نقش من قبل على جسمه اسم الفصيلة من الفصائل ينتمي دمه ، وما شابه ذلك إلى ذلك ، بما يعرف الطبيب أي نوع من أنواع الدم يحتاجه هذا الجريح .

وقد أدى البحث الواسع في فصائل الدم لأغراض علمية مختلفة إلى نتائج ذات أهمية خاصة ، إذ لوحظ أن نسبة توزيع الفصائل الأربع تختلف باختلاف توزيع الأجناس البشرية ، فبينما نجد في بعض البلدان تغلب نسبة الذين تحتوي كريات دمهم على الأجلوتينوجين « A » بالنسبة إلى من تحتوي كرياتهم على « B » ، أو من خلت كرياتهم من الأجلوتينوجين ، إذا بنا نجد بلاداً أخرى تغلبت في سكانها نسبة الذين تحتوي كريات دمهم على « B » . كما أننا نجد بلاداً يزداد فيها عدد الذين تخلو كريات دمهم من النوعين .

وقد لوحظ عند فحص نتائج تلك المقاييس أن الأمم التي تسكن شمال أوربا كانجلترا وفرنسا وألمانيا يكثر في دمها الأجلوتينوجين « A » ، فإذا ما اتجهنا من هناك شرقاً أو جنوباً ، أخذت نسبة هذا الأجلوتينوجين تتناقص ، بينما تزداد نسبة الأجلوتينوجين « B » ، حتى تصل إلى نهايتها العظمى في الهند .

ومن الطريف أيضاً أن نسبة من لا يحتوي دمهم على الأجلوتينوجين مختلفة التوزيع على وجه الأرض ، فبينما نجدها في الأجناس الأوروبية والأمريكية تتراوح بين ٣٥ ٪ و ٤٠ ٪ ، وفي الأجناس الأسيوية تتراوح بين ٣٠ و ٣٥ ٪ ، تكون هذه النسبة عالية جداً في بعض الأجناس القديمة التي ظلت محافظة على وحدتها متجنبة الاختلاط بغيرها ؛ ومثل هذه الأجناس الهنود الحمر والأسكيمو حيث تصل نسبة الفصيلة « لا » إلى ما يزيد على ٥٠ ٪ بل إنها قد تزيد على ٩٠ ٪ في بعض الجهات . وهناك قبيلة من الأسكيمو تبلغ فيها هذه النسبة ١٠٠ ٪ .

والظاهر أن الفصيلة « لا » هي التي كانت الأجناس الأولية ، التي ظلت على الفطرة ، ولم تختلط بغيرها ، ثم حدث أن وجد في العالم جنس ظهر في دمه أجلوتينوجين A كما ظهر في دم جنس آخر أجلوتينوجين ب . (تحدث هذه الظواهر في الطبيعة ويطلق عليها لفظة طفرة ، ولا يعرف سببها بالضبط) . ثم حدث بعد ذلك اختلاط بين هذه الأجناس التي ظهرت فيها تلك الطفرات بالأجناس الأصلية التي خلت كرياتها من الأجلوتينوجين ، ومن ثم أصبحت

النسب المشار إليها آنفاً تختلف زيادة ونقصاً[1] .

وقد قسمت الأجناس البشرية تقسيماً مبنياً على هذه الفروق المشار إليها هنا ، وقد اتخذت نسبة خاصة أساساً لهذا التقسيم وهي النسبة المسماة بالدليل الجنسي ، وتحسب بالكيفية الآتية :

متى عرف مقدار النسبة المئوية في جنس من الأجناس للأفراد الذين يحتوى دمهم على أجلوتينوجين ا والذين يحتوى دمهم على ب والذين يحتوى دمهم على ا ، ب معا ، يجمع الرقم الدال على النسبة الأولى على الرقم الدال على الثالثة ، ثم يجمع الرقم الدال على النسبة الثانية على الرقم الدال على الثالثة ، ويقسم المجموع الأول إلى المجموع الثاني ، فينتج هذا الدليل الجنسي الذي يصح كتابته بالرموز : $\frac{ا + ا ب}{ب + ا ب}$

وقد اعتبرت الأجناس التي يزيد فيها هذا الدليل على ٢ أجناساً أوربية ، والأجناس التي ينقص فيها هذا الدليل عن ١ أجناساً أسيوية أفريقية . وبينها أجناس وسط هي التي يقع دليلها بين ١ ، ٢ . وهذا جدول فيه بعض تلك الأرقام :

	المجموعة حسب نوعي تركيب الكريات الحمراء	٤ ا ب	٢ ا	٣ ب	١ لا	الدليل الجنسي	عدد الأشخاص المختبرة	العلماء الفاحصون
	الإنجليز	٣٫٠	٤٣٫٠	٧٫٢	٤٦٫٤	٤٫٥	٥٠٠	هرشفيلد ولانس
	الفرنسيون	٣٫٠	٤٢٫٦	١١٫٢	٤٣٫٢	٣٫٢	٥٠٠	هرشفيلد
	الإيطاليون	٣٫٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	هرشفيلد
	الألمان	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٢٫٩	[illegible]	سنيدان
	الأتراك	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٥٠٠	هرشفيلد
	العرب	٥٫٠	٣٢٫٤	١٩٫٠	٤٣٫٦	١٫٥	٥٠٠	هرشفيلد
	الهنود الحمر	٢	٣٩	٩١	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الجنس الهندي	الهنود	٨٫٥	١٩٫٠	٤١٫٢	٣١٫٣	٠٫٥	١٠٠٠	هرشفيلد ولانس

ومما لا شك فيه أن نتائج البحوث في هذه الناحية تلقى ضوءاً يساعدنا كثيراً على حل أصعب المسائل المتصلة بأصل الإنسان ، لكن ما وصل إليه العلم في هذا الصدد لا يزال محدوداً ، ولابد من إجراء أبحاث كثيرة وتحليل نتائجها وربط بعضها ببعض وبمعلوماتنا الأخرى قبل أن نطمع في الوصول إلى معرفة أصل الإنسان من هذا الطريق . ولا يمكننا الآن أن نقطع بصحة ما ذكر سابقاً من أن بعض الأجناس وجد قبل غيره ، وأن الذي يحتوى دمه على ا أو ب وجد متأخراً عن الذي لا يحتوى أيهما . وإذا استطعنا أن نعرف بصفة يقينية أي الحالتين أقرب إلى البداية : وجود الأجلوتينوجين ا ، ب أو عدم وجودهما قربنا قرباً عظيماً من حل مشكلة أصل الإنسان .

ومما يساعد على الوصول إلى نتائج شافية ، التعاون بين الأمم في إجراء بحوث واسعة النطاق متجانسة في وقت واحد وتنظيمها تنظيماً محكماً على أساس دولي منظم .

(١) هذه المسائل ما زالت قيد البحث وهناك افتراضات عليها وجيهة عن حل تلك الافتراضات ، ومن أهمها أنه قد توجد بالدم في دم بعض القردة العالية أجلوتينوجين ا ، ب وهذه حقيقة يصعب تعليلها ، إذا أخذنا بالرأي القائل بأن الجنس الأصلي هو الذي يخلو من ا ، ب وأن الجنس الذي يحتوى أيهما ظهر متأخراً بعد ذلك الجنس الأصلي .

لجة الليل

يا « لجة الليل » حتى البدر « ملاحا »
واستقبلي ضحكات الوضاء « سباحا »

طال السهاد به حتى لأحسبه
صبا يناجي أمام الليل أرواحا

واهتز في الأفق حتى لا قرار له
كأنه قلب إلف إلفه راحا

والزهر رق له في سهده فبكى
كأنما ظله في الأفق « فلاحا »

غشيت وجه « دنياك » غير راحمة
فيغشيك نور الفجر جناحا

مهلا تفيضي تفيض ، خشع متئد
قد ضل الرفق إمساء وإصباحا

الديك ـ ميعادك المحدود ـ صيحته
فأدركي قبل فيض كلما صاحا

وحذرينا أصاح الديك ضحكته
نادما ليضحك ، أم قد صاح من ناحا ؟

يا لجة الليل ما غذى مشاعرنا
كرؤية الروض بكاء وصداحا

الروض في « مأتمه » يبكي عليك ، وأط
يار الصباح أقامت فيه « أفراحا »

شاعر البرازق

ومثل هذه البحوث أجريت في أوربا من زمن بعيد ، ولكنها لم تجر في مصر إلا حديثا ؛ وأهم تلك البحوث المصرية التي أجريت لمعرفة توزيع فصائل الدم بين المصريين هي التي قام بها حضرات الدكاترة : [illegible] وعزيز وعبدوش . وقد أدت جميعا إلى نتائج متقاربة .

وكانت أحدث تلك البحوث وأوسعها نطاقا هي التي أجراها الدكتور عبدوش في المستشفيات العسكرية على جنود الجيش ، وقد قسم الجيش إلى مجاميع كل منها [illegible] لاعتبارات إحصائية ثم فحص دمها ، وقد لوحظ أن نتائج المجاميع المختلفة متجانسة ومتشابهة ، [illegible] والطول .

[illegible] خريطة العالم ، ورسم عليها توزيع الأجناس البشرية ، وقد بين عليها توزيع الجنس المتوسط ؛ ويتبين منها أننا نحن المصريين ننتمي إليه ، كما أنها جمعتنا والعرب والترك والروس في صعيد واحد من هذه الناحية الهامة .



الجنس الأمريكي الآسيوي — الجنس الهندي — الجنس المتوسط — الجنس الأوربي

إليهـا ...

رتل الفجر آية سكينه
وانحنى النور فوق خد السكينه
ومرى في الفضاء يرتع في السكو
ن ويغشى الأماكن الساكنه
نغمات كأنها دفقة السحر   تهاوت من حانة مجنونه
كل شيء في الكون يضحك بشراً
ويغني للنــــور زهواً لحونه
العصافير في رباها تناجى   والأزاهير كلها مفتونه
والسهول الخضراء تبسم فيهـا
نفحات تنـــاثرت في [illegible]
والقطيع الصخاب أهوى على الســ
ـل يقطف [illegible]
والفراش الجميل طرّف في الأر
ضى ويمشي بســـحره ياسمينه
والصبح تموج السحر فيه   وتهادى على مداه الحزينه
يقطر البشر ناعماً في رؤاه   وتذيب الأحلام منه عيونه
ليلة من كآبة أعقبتها   دفقة من سعادة موزونه
كغريق تقاذفته العوالي   في خضمّ والموج يقفز دونه
أمعن الطفل مكرهاً حين ولى
أمل الحيــاة لن يستبينه
وأفاق الغداة حياً معافى   ورأى حوله رجال السفينه
الأماني سعادة حيث تمشي
وهي بؤس إذا قضت مكنونه ! ...

* * *

ووصفت الفتاة ظلاً بهيجاً   وصدوداً وقلت عنها حنونه
تسبق الآمال حين تنال نجيا   لا فؤاد يريدها أن تصونه
قلت عنها بأنها غازلتني   حيث تلقى المنى وتلقى فتونه
حيث تمشي مواكب السعد سكرى
تتخطى فــــؤادها الظنينه
غير أني وصفت بعد قليل   فإذا بالفتاة روح أمينه
زهرة لن ينال منها خداع   وكلام منمق يحسبونه ...

* * *

يا فتاتي أصفك اليوم حباً   أخجلته آفاق المحزونه
وغرامي يثور ملء فؤادي   قرحته أمواج دمعي السخينه
إن تكوني رحمت صدري ووفاه   لهواي فيا للقلب مصونه
أو تكوني رحمت التحدي ازدراء
لغرام أكّال شــــقّ جبينه
أو فني في مهجتي غير حب
ـستفيض وعطف نفس حزينه
يلعب القلب بالآمال والغرام سنين   يقف الدهر والمصائب دونه
وزوال السكون والحب يسري
في قلوب تحب ما تحتـــقرينه

* * *

يا فتاتي الحســـناء عفوك إني
قلت ما قلت تحت وطء الخشونه
لا تقولي المسكين يهذي ويهذي
غـــرام يكاد يبدي جنونه
أنت ما زلت ترتعين بحب   مغلق حائر فلا تعرفينه
فوقك الظل غير شيء خداع
أنت تحب .. الهوى .. تمكينه ..

(دمشق)   يحيى الشهابي

أنباء وآراء

قصة أبي زيد الهلالي

كنا قد وعدنا قراء الثقافة بمناسبة استفهام أحد القراء عن حقيقة الأمر في قصة أبي زيد بأن ننشر شيئاً عن هذه القصة . وقد وردت إلينا بضعة ردود من حضرات القراء تناولت البحث منشأ هذه القصة وتاريخ بني هلال ؛ وقد عثرنا في نفس الوقت على بحث للأستاذ أحمد أمين عن شخصية أبي زيد الهلالي نشر في مجلة الإذاعة اللاسلكية بالعدد ٢١٦ بتاريخ أول أبريل سنة ١٩٣٩ نجتزئ منه ما يأتي راجين من شاء من حضرات القراء الرجوع لزيادة الإلمام إلى هذا العدد .

كان أبو زيد هذا في القرن الخامس الهجري من قبيلة « هلال » ونسب إليها فقيل هلالي .

وهلال هذه كانت قبيلة كبيرة حرة تسكن نجداً يجاورهم في مسكنهم قبيلة أخرى اسمها سليم ، وكانت هلال وسليم جفاة سلابين نهابين ؛ يخرجون من ديارهم فيغيرون على أطراف الشام والعراق حتى بعث منهم الدولة العباسية وأرسلت في أيام الواثق سنة ٢٣٠ حملة برأس القائد التركي (بغا الكبير) لتأديبهم على ما ارتكبوا من فساد في « المدينة » .

وهاجر قوم من « هلال » و « سليم » إلى مصر ونزلوا أولاً في الوجه البحري ، ولكنهم ساروا سيرتهم الأولى من سلب ونهب ، حتى ضج منهم الناس ، فأمر الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ — ٣٨٦) بطردهم إلى الصعيد ؛ ولكنهم ظلوا في الصعيد كما فعلوا في كل مكان من سلب ونهب وتخريب — وكان من بني هلال هؤلاء فروع مختلفة ، منهم زغبة ورياح وعدى ، فعم شررهم واستغاث أهل البلاد من شرهم ؛ وفي خلافة المستنصر الفاطمي ثارت بلاد المغرب عليه فنصحه بعض مشيريه أن يبعث إلى المغرب هؤلاء العرب من هلال وسليم ، فإن ظفروا بالثائرين فقد كسب تلك البلاد وأخضع الثورة وظفر بالخصوم ، وإن انهزموا وقى الله مصر شرهم ، فأرسلهم سنة ٤٤١ وأعطى لكل واحد منهم بعيراً وديناراً ، وقال لهم قد أعطيتكم المغرب ، ففرحوا بذلك وجازوا النيل إلى برقة ببلاد المغرب ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا لأخوانهم في مصر يدعونهم إلى السفر إليهم ويصفون لهم ما بها من خير ونعيم ، فأرادوا الرحيل فنهاهم المستنصر ... دينارين على كل واحد ديناراً ، فعوض بذلك ما وقفه ... سليم وفروع هلال من دياب وزغب ... إلى تونس ... لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلى تونس سنة ٤٤٣ ، وقسموا البلاد بينهم وبين قبيلة سليم ، فأخذت سليم شرق تونس وهلال الغرب ؛ ووقعت بين هؤلاء العرب وبين سكان البلاد الأصليين من البربر كقبيلة زناتة وصنهاجة حروب يطول ذكرها ، كما وقعت الفتن والحروب بين بعض العرب وبعض ، وبعض البربر وبعض ، وكان ذلك فيما بين سنة ٤٤٠ وسنة ٤٦٠ هـ واشتهر في هذه الحروب رجال كثيرون منهم دياب بن غانم وأبو زيد الهلالي .

هذه الحروب وهذه الوقائع في القرن الخامس الهجري في بلاد المغرب هي ميدان لسيرة أبي زيد .

وهذه القصة ثلاثة أقسام : القسم الأول منها يصف تاريخ بني هلال في بلاد السرو (وهي منازل حمير بأرض اليمن) وكان من أعيان الهلالية حازم وحميد أبناء المنذر

الهلالى ، وقد رحل حسن بأمه إلى نجد وصار فيا بعد سلطانها .

أما القسم الثانى فتدور حوادثه حول رحلة بنى هلال إلى نجد وقد ألجأهم إلى هذه الرحلة من السرو إلى نجد مجاعة عظيمة فى بلاد السرو والجن .

وقد استقبل الهلاليون فى نجد استقبالاً حسناً من الملك ثامر وابنه دياب (وكان دياب من فرع حسن) ومن بنى زغبة .

وقد وقعت الحرب أخيراً بين دياب ابن ثامر وأبى زيد الهلالى لأسباب نسائية يطول شرحها وانتهت بانتصار أبى زيد وخضوع دياب .

والقسم الثالث تدور حوادثه حول رحلة الهلالية إلى الغرب ، فان أبا زيد ذهب مع أتباعه إلى تونس ليبحث من أرض خصبة لما حلت المجاعة بنجد ، فلما غزوا تونس واتصلوا بالبربر حدث أن وقعت « سعدة » بنت الزناتى خليفة وهى من البربر فى حب « مرعى » أحد أصحاب أبى زيد ، وقد وقعت حروب بين الهلاليين والزناتى ... ذلك انتهت بقتل الزناتى خليفة ، ثم اختلف الهلاليون ... بينهم على قسمة أملاك الزناتى خليفة ، ... الحرب ... أبى زيد ودياب انتهت بقتل دياب لأبى زيد ، فاجتمع قوم للأخذ بثأر أبى زيد منهم بريقع والجازية بنت الحسن واتفقوا من دياب وقتلوه ، وقد قتلت الجازية أيضاً فى هذه المعارك .

شاعر حقاً

قرأت فى العدد الثامن والتسعين للأستاذ الفاضل ع . ع مقالته « من وحى الأقلام » ، وعجبت منها القوله فى التحدث عن بعض ما كتبه الأستاذ شفيق جبرى من تدريس الشاعر :

« الأستاذ شفيق جبرى كاتب مجيد ، يعجبنى فيه أن يحتفل دائماً بما يكتب ، ويتحرى فيه بعض الطرافة والجدة ، وأحسبه شاعراً فى نظراته وتأملاته وخواطره » .

عجبت لهذا لا لأنى أنكره ، بل لأنى رأيت قليلاً فيه أن يُعلم من قوله أنه شاعر فى نظراته وتأملاته وخواطره ،

ولا يعرف ذلك من شعره الذى ملأ ديوانه (نوح العندليب) المطبوع من نحو عشر سنين ، ومضى على كثير من الصحف هذا المواطن وهو الشاعر وحلّق فى سماء الخيال .

إنه من مقدمى الطبقة الأولى من شعراء الشام ، سكب عبراتها فى قريضه الباكى ، ونظم مسراتها فى شعره الباسم ، وردّد مطامعها وشكواها فى قصائده الخالدة . وهو الذى مثلهما فى مآتم الملك والشعر فى ديار الجولان ذى القربى . وهو الذى بكى « مصر العزيزة شاعرك أمير شعراء العرب » فى حفلة تأبينه التى أقيمت فى دمشق ، وهو الذى قال عنه إن شعر العرب لم يجد منذ ألف عام له مثيلا ، وهو الذى حدثنا عنه حديثاً فى كلية الآداب بدمشق ... ممتعاً .

لا ... أن بعض ثمة خفاءة على بعض الباحثين ... الأستاذ الشاعر نفسه الذى كاد يصبح شاعر ... عن مطالع الناس ، ولكن شعره فى ذلك على ... من شعراء العروبة الخالدين ، وقد ... من كانت قصائده تدعى بالحوليات ... أن ... ذاعتها ...

ويرجع بعض التبعة إلى ضعف أسباب التعارف بين الأقطار العربية ، وزهد كثير من أبنائها فى مطالعة غير الصحف والمؤلفات المحلية .

وبعد فان عجيباً أن يسمع قديم اليونان من هوميروس وغيره ، ويسمع قديم العرب من امرئ القيس وغيره ، ويكون لأولئك (الجارزيوم) ولهؤلاء أسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز ، ثم لا يكون لحاضر العرب منبر يشرئبون حوله إلى الذين يهتفون بعظمة ماضيهم ويقتفون عهد مستقبلهم ، ويشكون أسى القلوب الواجبة ، ويغردون فتستنشق النفس وتستقبل البشر وتنشط فى الحياة !

فهل من يسمون لحفلات تروج فيها ملكة الشعر كل عام شاعراً ، وتؤلف له وزارة تعتز بها دولة الشعر العربى ؟

(العراق — ...) أحمد مرشد العطار

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسى رقم ٩ بعابدين . مصر